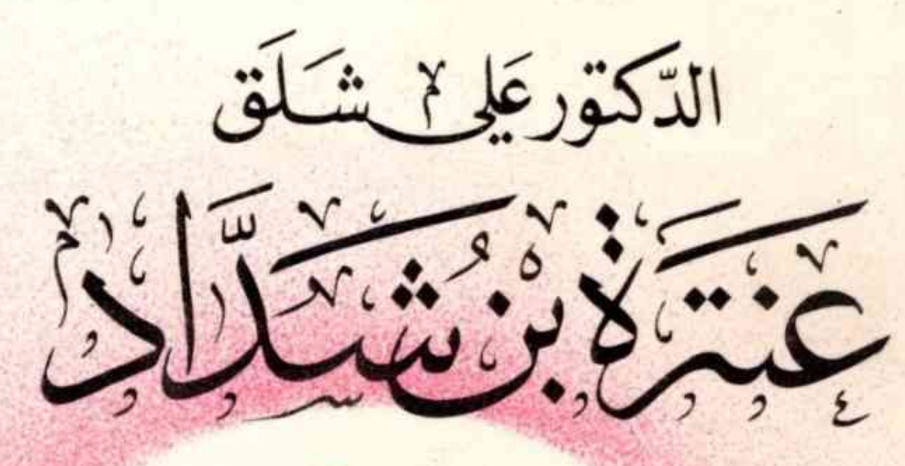
كواكب الأدب العربي



الدكتور علي شلق

عنترة بن شداد

الحب، الشعر، الفروسية، الحرية

دار المدى للطباعة والنشر


م. سرمد حاتم شكر


عنترة بن شداد
الحب . الشعر . الفروسية . الحرية

الدكتور علي شلق

عنترة بن شدّاد

الحبّ، الشّعر، الفروسيّة، الحرّيّة



* د. علي شلق: عنترة بن شداد: **الحب، الشعر، الفروسية، الحرية**

* حقوق الطبع محفوظة للناشر ـ الطبعة الأولى ١٩٨٥

* الناشر: **دار المدى للطباعة والنشر ش.م.م.**

هاتف: ٨٣٢٣٤٣ ـ ٨٣٠١١٦ ـ ص. ب.: ٥٥٩٠ ـ ١٤

تلكس: ٤٠٢١١ B.B.C بيروت ـ لبنان

* تنضيد الاحرف والماكيت: **كومبيوغراف**

* تصميم ورسم الغلاف: **المجموعة الطباعية.**

* الخطوط: **علي شوربا.**

* الطباعة: **مطبعة امبريمتو**

«أنا لا أعرف إذا كانت هناك،
في تاريخ الحضارة القديمة كلّه،
صورة ألطف وأدعى إلى
الرضى، وأكثر حيوية من صورة
شبه الجزيرة العربية كما نجدها
بوجه خاص في نموذج عنترة المثير
للإعجاب».

أرنست رينان



المجتمع الجاهلي، مجتمع سيّدي، عبوديّ، مجتمع قبليّ نظامه «كُلهم قبل أن يأكلوك»

□ □ □

العبدُ في قبيلةٍ مّا من قبائل الجاهلية سجين عبوديته، لصيق ذلّه وبؤسه، لا يفسح له بمجال كي يتنفّس هواء الحرّيّة. وربما نبغ العبد بالفروسيّة، والشعر، أو الحكمة، فكل ذلك لا يحول بينه وبين طبقته المهينة..

□ □ □

عنترة وحده خرق حزام العبودية المضروب حوله، وانتفض وانصاع في سماء الحرّيّة، والمجد. فبماذا استطاع أن يظفر عنترة؟

بفروسيّته الخارقة، بشعره البديع، بخلقه الرفيع، ونضاله الموصول فإلى أية درجة وصل؟

١ - أصبح فارس عبس الأوّل، بل أشجع فرسان العرب قاطبة.
٢ - بلغ المرتبة الأولى بين شعراء عصره، وأصبح من أصحاب المعلقات.
٣ - ألزم أباه على الاعتراف به ابناً له.
٤ - تحامت به العشيرة، وأصبح سيداً من ساداتها.

٥ ـ رفعه الحبّ إلى صف البطل السامي، وتميّز بالوفاء، وفاء لقبيلته، وحبيبته عبلة.

□ □ □

فوق هذا، فقد تميّز عنترة عن سائر شعراء العربيّة، وأبطالها الفرسان بأنه أصبح عالمياً، وسكن مناخ الأسطورة، فهو المتفرد بأن له شخصيتين: واقعية مشرّفة، ونموذجيّة، وأسطورية لعب فيها الخيال وحاك حوله قصصاً من أمتع وأعذب أقاصيص الشعوب.

عنترة شيء فريد في تاريخ البطولات الانسانيّة، فلندخل باب حصنه الذي يزهى بمتحف بطولاته، الباقية على العصور.

١٩٨٤/٥/٢٥

عنترة[1]
(٥٣٥ م - ٦١٥ م)

- من هو ؟

- هو عنترة بن شدّاد، بن قرّار، بن مخزوم، بن ربيعة، بن عبس من قيس عيلان بن مضر. ومعنى لفظ عنترة الشّجاع، وقد رخم إلى عنتر، وقد ذكر «اللسان» أن معنى عنتر، وعنترة: الذباب الأزرق، وسمي عنتر لصوته، ومن معانيه: السلوك في الشدائد.

أبوه:

شداد بن قرّاد العبسي، وقيل أبوه اسمه عمرو بن شداد.

أمّه:

زبيبة، أمَة حبشيّة، كانت لشدّاد، واقعها في بعض أسفاره فولدت له عنترة وأصبح من العبيد، لا يعترف أبوه ببنوّته.

□ □ □

في نسب عنترة أقوال للرواة أهمّها:

- قول أبي عبيدة: هو عنترة العبسيّ، ابن عمرو، ابن معاوية، بن ذهل، ابن قراد من عبس، وكان شدّاد هو الذي رباه، ونشأ في حجره، فنسب إليه دون أبيه فقالوا: عنترة بن شداد.

- قول ابن الكلبي: شدّاد جدّ عنترة وليس أباه، لكنه غلب على اسم

---

(١) جعل الزركلي في الأعلام وفاته سنة ٦٠٠ م وسنة ٢٠ ق. هـ.

أبيه، وهو عنترة بن عمرو بن شدّاد.

- وقال بعضهم إن شدّاداً عمّه، كان نشأ في حجره فنسب إليه دون أبيه، وإنّما ادّعاه بعد الكبر.

- لنترك هذه الأقوال وسواها حول أبيه الذي اختلف فيه، ما دامت أمّه قد اتّفق على اسمها، فالخبر الكاذب إذا شاع، وتواتر شيوعه يصبح واقعاً تاريخياً، عدا عن ذلك فعنترة كما سنرى يجعل نسبه في سنّ رمحه، وحدّ سيفه، وشريف خصاله.

□ □ □

واتّفق الرواة على أن عنترة واحد من أشهر أغربة العرب: عنترة بن زبيبه، وخفّاف بن ندبة، والسّليك بن السلكة، وكانوا فرساناً، شجعاناً، سود البشرة.

صفاته

قال ابن قتيبة: «كان عنترة أشدّ أهل زمانه، وأجودهم بما ملكت يداه» وكان يتوزّع بين الشجاعة والتّهوّر، إلاّ أنّ حكمته في معظم مواقفه كانت تقضي بأن لا يدخل مدخلاً لا يعرف كيف يخرج منه، وقد سئل مرّةً عن سرّ بطولته فأجاب: «كنت أقدم إذا رأيت الإقدام عزماً، وأحجم إذا رأيت الإحجام حزماً، وكنت أعتمد الضعيف الجبان فأضربه الضربة الهائلة، يطير لها قلب الشجاع، فأثنّي عليه فأقتله».

وكان «عمرو بن معد يكرب الزبيديّ» صاحب الصّمصامة، والبطل المعروف يقول:

«ما أبالي من لقيت من فرسان العرب، ما لم يلقني حرّاها وعبداها، فالحرّان هما: «عامر بن الطفيل»، و«عتيبة بن الحارث بن شهاب» والعبدان هما: «عنترة بن شدّاد» و«السّليك بن السلكة».

وقد غلب عليه لقب: «عنترة الفوارس»[1] وذلك يعني أنه أشجع الفرسان.

□ □ □

طرف من اخباره

– كانت زبيبة عبدة حبشيّة تخدم شداداً العبسيّ، فوقع ذات مرة عليها فولدت عنترة، فأتت به إلى أبيه تشير إلى أنّه ابنه، ومن تقاليد العرب أن الولد للفراش، وأمّه هي التي تعيّن من هو أبوه، عندما تختلط الأنساب، ويتعدّد المواصلون، فالتفت إلى بنيه قائلاً: «هذا أخوكم» فقالوا: إنما أنت شيخ هرم، تدّعي أولاد الناس، ولعلّك خرفت...

– وعندما شبّ عنترة وترعرع، قالوا له: إذهب فارعَ الإبل والغنم، وأحلبْ وصرّ» فذهب عنترة يرعى الإبل والغنم كما قدّر له، وباع بعضها واشترى سيفاً، ورمحاً، وترساً، ودرعاً، ودفن ما اشتراه في الرمل، على نيّة أن يخرج ذلك عند الحاجة. وكان له مهر، يسقيه ألبان الإبل. وقيل إنه كان يمتطيه ويتقلّد رمحه، ثم يجريه بعد أن يضع بعض عباءات الرعيان هدفاً، ويمزقها برمحه، فيشكونه إلى أبيه فيلقى منه عقابه، وقد شهر مهره ذلك باسم «الأبجر»[2] بعد ذلك.

ويقال إنه اجتمع بامرىء القيس الشاعر، وعاش طويلاً، وقتله الأسد الرهيص، أو جبار بن عمرو الطائيّ، وله ديوان شعر فيه منحول.

أول ما لمع نجمه

قال السّيوطيّ: مما شاع بين الجاهليين من مبدأ: «من غَلب سَلب» وعلى ذا فقد أغارت إحدى القبائل على بني عبس، فسُلبت، وسُبّت، وجاء عنترة

---

(١) معنى لفظ عنترة: الذبابة الزرقاء.

(٢) معنى لفظ الأبجر: عظيم البطن.

ليسقي إبله، وغنمه، فلم يجد على الماء أحداً، فعمد إلى سلاحه فأخرجه، وإلى مهره فامتطاه، واتبع الطريق الذي سلكه المغيرون، فكرّ عليهم، ومزّق جمعهم وقتل منهم ثمانية، فسألوه: ماذا تريد؟ أجاب: أريد العجوز السوداء، والشيخ العجوز، يعني بهما أباه وأمّه. فردّوهما عليه.

عندئذٍ صاح به عمّه: «كرّ يا عنترة» وقد رأى جانباً من بطولته، فقال عنترة: «العبد لا يحسن الكرّ، بل يحسن الحلب والصرّ». فأعاد عليه القول ثلاثاً، وعنترة يجيبه بمثل قولته الأولى، فلم يجد عمّه، وقيل أبوه، بدّاً من الاعتراف به ابناً، وتحريره من العبوديّة، وقال له: أنت ابن أخي، وقد زوجتك ابنتي عبلة، فكرّ عنترة عليهم فصرع منهم عشرة، فسألوه: ماذا تريد أيضاً؟ فقال: «أريد الشيخ والجارية، يعني عمّه وابنته، فردّوهما عليه».

وهنا صاح بهم عنترة: إنه لقبيح أن أرجع عنكم وقومي في أيديكم، فأبوا تسليمهم فكرّ عليهم حتى صرع منهم أربعين بين قتيل وجريح، فتخلّوا عن الجميع، ولاذوا بالفرار، فأنشد قصيدته المعلقة:

«هل غادر الشعراء من متردّمِ»

□ □ □

رواية ثانية عن تحرره

حدّث كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني أن بعض أحياء العرب أغاروا على بني عبس، فأصابوا منهم، واستاقوا إبلاً، فلحق بهم العبسيّون، فلم يبلغوا منهم المبلغ، فصاح شدّاد بعنترة: كرّ يا عنترة، وكان عنترة في قومه ولكنه يترقّب، فقال عنترة عندئذٍ وكأنه ينتظر هذا الطلب من أبيه: «العبد لا يحسن الكرّ، إنما يحسن الحلاب والصرّ». فقال له أبوه: «كرّ وأنت حرّ» فاندفع عنترة وهو يرتجز:

أنـا الهجيـن عنتــره كل امرىء يحمي حِره
أســوده وأحمــره والشعـرات المشعـره
الواردات مشفره

وقاتل قتالاً مظفّراً، وعاد بنو عبس بالسلب، فأعلن أبوه عن إلحاقه بنسبه، ذلك النسب الذي شهر العرب بالحرص عليه.

رواية ثالثة

قيل إن بني عبس أغاروا على طيّء فأصابـوا إبلاً، وكـان عنترة فيهـم، ولمّا أرادوا القسمة، أغفلوا حصّة عنترة مع أنه أبلى بلاءً حسناً في الإغارة على زعمهم أنه عبد.

فانتفض عنترة متحدّياً، وطال الجدال بينهم، فكرت عليهم «طيء» فاعتزلهم عنترة واستردت طيّء الإبل، فدعاه أبوه إلى أن يكرّ، فقال له عنترة: كرّوا أنتم، فليس القوم أكثر منكم عدداً، ثم هل يحسن العبد الكرّ؟ فصاح به أبوه: «العبد غيرك يا بنيّ» فاندفع كالشّهاب منقضّاً على الطائيين. وغنم الإبل، وأنشأ يرتجز:

أنا الهجين عنتره...

□ □ □

حبه عبلة ابنة عمه «مالك»

كانت عبلة ناشئة لعوباً، استهوته بنضرتها، وسمرتها، وعينيها، وشمائلها كلّها، وقد عرفت عبلة من عنترة ذلك الحبّ، وطربت لذيوع صيته شجاعاً محارباً، وشاعراً مميّزاً، إلى جانب اعتراف أبيه بأنّه ولده، وإقرار القبيلة كلّها أنّه فارس عبس الذي لا يقهر.

وكان ينافسه على حبّها « عمارة بن زياد » أخو الربيع بن زياد الفارس المشهور، والزّعيم العبسيّ المنوّه عنه، وهما من فرع عبسيّ يناوىء فرع قيس بن زهير، ملك بني عبس كما جرت عادة الجاهليّين أن يلقّبوا سيدَ القبيلة بالملك، وقد تردّد أبوها مالك بتزويج عنترة عبلة. نظراً إلى كونه عبداً، وفضّل عليه « عمارة » أحد أسياد بني عبس، لكنّ عبلة لم تكن تريد سوى عنترة.

نوع حبّه:

كان عنترة وفيّاً في حبّه، عفيفاً شريفاً، يماثل بشمائله النبيلة حاتم الطائيّ، ويفتح الباب للحب الذي نما وشاع في عصر بني أميّة، والذي وصف بأنه الحبّ العذريّ. وحبّ عنترة ما كان يغفل محاسن عبلة، بل هو يشتهيها، ويصرف عن سواها، ويرصد قلبه لهواها.

بذا نذكر هنا أن هذا النوع من الحبّ، رسم النّموذج الأعلى لحبّ الفرسان، المتسامين وهو الذي عرف في الغرب بعد ذلك باسم Amour Courtoi، وشمائل الفروسية التي كان عنترة أيضاً نموذجها الأسمى عند العرب، شهرت لدى قدماء الفرنسيين باسم: Esprit|Cheraleresque.

□ □ □

بطل حرب داحس والغبراء

عنترة لمع نجمه في هذه الحرب التي وقعت بين قبائل غطفان: عبس، ذبيان، فزاره. وكان ملك بني عبس أو رئيسها زهير بن حذيفة، فابنه قيس، وكان على الفزاريين حملُ بن بدر، وحصن بن حذيفة. ومن اللاّمعين في بني عبس الربيع بن زياد وأخوه عمارة، وشداد والد عنترة على

الأرجح، ومالك أخو قيس بن زهير، وشاس.

ظاهر هذه الحرب سباق جرى بين فرسين لخالد بن جعفر الفزاري، وزهير بن جذيمة العبسيّ، على أن يكون للذي يسبق مئة من الإبل، وباطن هذه الحرب ظروف سياسيّة، وأحلاف قبليّة جعلت عبساً في جهة، والفزاريّين، والذبيانيّين في جهة، بعد أن كانوا حلفاً واحداً.

وقد ظهر في شعر النابغة كيف أنّه ناضل في سبيل استمرار الحلف بين عبس وذبيان، وميلهما إلى النعمان بن المنذر كخط سياسي، وقرابة بالإصهار الذي نسب النعمان إلى العبسيّين بزواجه المتجردة منهم.

كادت الغبراء فرس العبسي تسبق لولا أن أقام الفزاريّون لها كميناً أجفلها، فسبقت فرس الفزاريّ، واحتدم الجدال بينهما، فاستل خالد وزهير سيفيهما، ثم اعتركا، فتارة كان زهير يعلو خالداً، وتارةً كان خالد يعلو، ولم ينل أحدهما من الآخر، فصاح زهير: اقتلوني واقتلوا خالداً معي، فأسرع أحد العبسيّين فلم يفعل شيئاً، وجاء الفزاري فقتل زهيراً وهكذا نشبت حرب ضروس كادت تسحق الفريقين ممّا حدا بهرم بن سنان المرّيّ، والحارث بن عوف أن يتدخّلا فيصلحا بين عبس وذبيان ويتحملا ديات القتلى، وفي ذلك يقول زهير بن أبي سلمى مادحاً هذين الرجلين الكريمين:

تداركتما عبساً وذبيان بعدما ... تفانوا ودقّوا بينهم عطر منشم

لعمري لنعم السيّدان أتيتما ... على كل حال من سحيلٍ ومبرم

□ □ □

عنترة في هذه الحرب كان الكوكب الساطع، ولولاه لكان فرعا غطفان، أتيا على عبس رغم شجاعة رجالها لأن الكثرة تقضي على القلّة مهما كانت قوية في معظم الأحوال.

□ □ □

عالمية عنترة الأسطورية

لم تتوقف الأحاديث عن عنترة بوصفه شاعراً جاهليّاً من أصحاب المعلّقات، أو المجمهرات، أو المذهّبات، وفارساً بطلاً أصبح نموذجاً للفارس العربيّ في كل العصور، وعبداً تحرّر بسيفه، وأدبه، إلى عاشق وفيّ ناضل في سبيل من أحبّ، بل أصبحت هذه الأحاديث بعد العصر الجاهليّ وفي عصر الدويلات، أو ما يسمى بعد ذلك بعصر الانحطاط عملاً أدبيّاً شعبيّاً يحتل المرتبة الأولى في القصص الشعبي عند العرب، وخرج به عنترة من التاريخ الواقعيّ المنعاش إلى آفاق الأسطورة التي ترسم عنترة بطلاً عالميّاً قبالة أخيل، أو عوليس، أو هرقل.

وعوليس بطل الأوذيسّة الهوميرية، يعود إلى إيتاكا بعد ضياع في البحر، وتعرضه إلى خطر الجنّيّة نوسكا التي سحرته، فالسيكلوب ذلك الحيوان الخرافيّ الهائل، وأخيراً يصل إلى قصره، وزوجته پنلوب، وابنه تلماك، وكلبه الوفيّ. هكذا تعرض عنترة للرمال السوافي، وكاد يغرق في بحرها، كما صادفته عقبات وكوارث أخرى مع الجنّ وكيف حارب ابنه الغضبان من جنيّةٍ أحبّته، وكيف استخدم بدلاً من السيف والرمح عموداً ناريّاً لعلّه كان مقدمة لما نسميه اليوم بالصاروخ، أو القذيفة.

□ □ □

سيرة عنترة كتبت في العهد الفاطميّ بمصر، يُقال إن الأديب «يوسف

ابن اسماعيل » أنشأها بإيعاز من الخليفة الفاطمي إثر ريبةٍ وقعت في القصر ، فأراد إلهاء الناس بما يصرفهم عن الخوض فيها .

ويظهر أن الأديب يوسف بن إسماعيل كان ذا ثقافة واسعة ، وأنه كان قد أطّلع على أدب اليونان وخاصة الألياذة ملحمة الحرب ، والأوذيسة ملحمة الحبّ للشاعر هومير إذ إن مواقف في الملحمتين ، والسيرة تتقابل ، وتتناسخ متشابهة بشكل يدعو إلى تقرير الاقتباس .

كذلك نرى شبهاً في بعض الحوادث بين السيرة ، وكليلة ودمنة ، وألف ليلة وليلة ، وبينها وبين السير الأخرى من الأدب الشعبي عند العرب كسيرة الزير سالم ، وأبي زيد الهلالي ، والظاهر بيبرس البندقداري ، وحمزة البلهوان ، وسواهم .

تقع سيرة عنترة في أربعة مجلدات طبعة صبيح القديمة ، على ورق أصفر ، وقد أخرجت حياة عنترة الفارس العاشق فلماً للسينما في مصر في الثلاثينات من هذا القرن . وكانت مدار أسمار الناس في نواديهم الليلية من كل بلاد العرب طيلة خمسة قرون تقريباً ولا تزال تدور على ألسنة « الحكواتية » وتحتلّ مكانةً مرموقةً من تمثيليّاتهم ، وأغانيهم .

كما تدور الروايات الكثيرة حول حياة البطل، فإن موته مثار أقوال مختلفة، متعدّدة، فما بالك برجل كعنترة له نمطان من الحياة كتبا له في أذهان الناس، وجريا مجرى السيل على مرّ مئات السنين، ومختلف العصور ؟

الرواية الأولى

تقول إن عنترة أغار على بني نبهان من طيّء، وكان قد كبر وشاخ فطرد لهم طريدة وهو يرتجز:

«آثار ظلمانٍ بقاعٍ محرب»

فأدركه «وزرُ بن جابر النّبهاني» فرماه قائلاً: خذها وأنا ابن سلمى فتحامل عنترة بالرمية حتى وصل حيّه، فقال وهو مجروح:

وإن ابن سلمى فاعلموا عنده دمي، وهيهات لا يرجى ابن سلمى ولا دمي

رماني ولم يدهش بأزرق لهذمٍ عشيّة حلّوا بين نعفٍ ومخر

□ □ □

الرواية الثانية

تدور حول غزوه طيّئاً مع قومه، فانهزمت عبس، فخرّ عنترة عن فرسه

ولم يقدر لكبر سنّه أن يعود فيركب، فدخل دغلاً، وأبصره ربيئة طيّء فنزل إليه، وهاب أن يأخذه أسيراً، فرماه، فقتله.

□ □ □

الرواية الثالثة

أنه خرج بعد أن أوت بنو عبس إلى غطفان، غبّ يوم جبلة، وحمل الدماء، احتاج، وكان صاحب غارات عجز وكبر عنها، لذلك قصد رجلاً من غطفان كان له عليه دين فخرجت عليه ريح عاتية، أسفت الرمال فوقه بين شرج وناظرة، فقضت عليه.

الرواية الرابعة

تذكرها السيرة الشّعبيّة، ولم تجر على لسان الشيباني، ولا أبي عبيدة، أو ابن الكلبي، ولا كتاب الأغاني، مفادها أنّ رجلاً كان له على عنترة ثأر لقتله أخاه، رماه بسهم فأصابه، بعد أن ترصّد له وهو يحمي مؤخرة قومه، وكان ذلك الرامي أعمى، ولكنه دقيق الهدف، سدّد إليه السهم بعد أن سمع صوته. فتوقف به حصانه، ولبث مدّة وهو ينزف، إلى أن مات وهو على ظهر حصانه الذي أبى لكرمه أن يتزحزح.

ويقال إن بعض أعدائه رآه على تلك الحالة، فهاب أن يدنو منه، ولكن صيحة دوّت فأجفل حصانه، فوقع الفارس البطل عن ظهره، لا حراك به.

المعلقة

يدور شعر عنترة بوجه عام حول معاركه، فهو يتحدث عنها حديثاً قصصياً كما يتحدث امرؤ القيس عن غرامياته، والأعشى بخمرياته، والنابغة بقبلياته، وطردياته، وأسطورياته. وللمعلقة في شعره قيمة مميّزة شأنه في ذلك شأن أصحاب المعلقات، التي تتوج هذه القصائد الفخمة أعمالهم الشعرية، وبها يعرفون، وعلى مقاديرها صنفوا في المتقدمين السبعة، أو العشرة.

وعنترة بمعلقته أصبح في الدرجة الأولى من الشعراء، كما صار في الطبقة الأولى من الفرسان، وفي الطبقة الأولى من الأحرار، والأولى من العشاق، والأولى من أصحاب الشمائل، ولكنه فاق شعراء الجاهلية قاطبةً، بل شعراء العرب كلهم بلا استثناء في أنه غدا بطلاً أسطورياً حيكت حوله الأساطير، ونظمت الحكايات، وصورت الأفلام، وترجم إلى اللغات الأخرى، وصدرت عنه أقاصيص للأطفال، والأسمار، والغرائب العجائب.

مدار المعلقة

- حول الطللية وقد استغرقت من المعلقة البالغة خمسةً وثمانين بيتاً، سبْعَة أبيات.

- ثم يتحدث عن عروسة شعره وأحلامه بنت عمه عبلة في خمسة وعشرين بيتاً، فأكثر.
- وحديثه عن حصانه يقع في سبعة أبيات.
- وعن ناقته الشَدنيّة اليمنية، في أحد عشر بيتاً فأكثر.
- ويتكلّم عن نفسه، في الميدان، مخاطباً عبلة، ويحكي حكاية المبارزة، وكيف يصرع المبارز، فيما يزيد على خمسة وعشرين بيتاً.
- ويتناول الخمرة وشربها، وقدحها، ولونها، وثمنها، ووقتها في أربعة أبيات.
- وفي الأبيات الباقية التي تقرب من العشرين بيتاً أو يزيد عددها قليلاً يتناول الحديث عن كرمه، وتساميه، وصبره، وعن بعض خصومه مثل ابني بغيض (عبس وذبيان) وابني حذيم (ولدي ضمضم المريّ هرم وحصين) وعن عمه، وعمر الذي لم يف له، وكيف يحتمي به الأبطال ساعة الروع، ولا ينسى الروضة التي لها شبه بعبلة في خمسة أبيات.

□ □ □

بصدد المعلّقة العنترية، يبدو سؤال يطرح نفسه: إذا كانت سيرة عنترة تشكّل ملحمة نثريّة، فما هو مقدار الملحميّة في معلقة عنترة، وهل من الضرورة أن نتكلم على الملحمة بصدد المعلقات؟ ولماذا لم يكتب العرب الملحمة بشروط النقاد الغربيين؟

عنترة والملاحم الشعرية

في الشعر الجاهليّ قصيدتان، معلقتان، تضجّ فيهما أبواق الملاحم: ميميّة عنترة المعلقة، ونونيّة عمرو بن كلثوم المعلقة.

في معلقة عنترة حديث ملحميّ عن معاركه الذاتيّة، وبطولاته، ومشاركة حصانه الوجدانيّة، وانتصاراته.

وفي معلقة عمرو بن كلثوم حديث ملحميّ عن معارك قومه، فلدى عنترة «أنا» ولدى ابن كلثوم «نا» أو نحن، وفيهما تظهر شخصية الشاعر، أو شخصية قبيلته، وبذا تختلفان عن الملاحم اليونانية بشرط أصيل ألا وهو الغيريّة، ومعناها اختفاء الشاعر وراء الأحداث فلا يظهر، بل تظهر أمته، وأبطالها.

والغربيون وضعوا شروطهم للملاحم، متّخذين ملحمتي «هومير» نموذجاً استخرجوا منه شروطهم وأهمّها:

١ً - اختفاء الشاعر وراء الأحداث، وظهور الأبطال الآخرين.
٢ً - أن تدور الملحمة حول موضوع حرب، أو موضوع حب وحرب.
٣ً - أن تجري الحرب بين أمتين تتصارعان وتغلب إحداهما الأخرى.
٤ً - أن يظهر في الأمتين بطلان رئيسان تدور حولهما المعارك والأحداث.
٥ً - أن تلعب الخوارق، والمعجزات دورها في تلك المعامع.
٦ً - أن تتدخّل الآلهة لصالح الفريق الذي تختاره.
٧ً - أن تكون الملحمة طويلة تتضمّن معظم أفكار الشاعر عن حضارة الأمتين.
٨ً - أن تكون شعراً..

□ □ □

ما توافر في هذه الشروط في المعلقتين

١ً - موضوع الحرب والحب متوافر في المعلقتين.
٢ً - الخوارق، والمعجزات تلعب دورها لدى معلقة عمرو بن كلثوم أكثر منها في معلقة عنترة عن طريق المبالغة.
٣ً - المعلقتان شعر موزون مقفّى.

٤ً ـ يظهر في المعلقة بطلان تدور حولهما الحرب، وأنثى هي كوكب الحبّ.

٥ً ـ المعلقة شعر.

ما خلت منه المعلقة شروطا

١ً ـ الشاعر المعلقيّ ذاتيّ يتحدث عن الأنا والنّحن.

٢ً ـ لا آلهة تدخل في مجرى الحرب التي هي موضوع الملحمة.

٣ً ـ المعلقة قصيرة.

٤ً ـ المعلقة تقع حروبها بين قبيلتين لا بين أمتين، ولا تفني قبيلة أخرى مثل ما في الملحمة.

□ □ □

سبق أن تكلمنا عن موضوع الملاحم اليونانية والهندية والرومانية في كتابنا «نقاط التطور في الأدب العربيّ»، وتقرر لدينا أن ليس نهائياً حكم النقاد الغربيين بفرض شروط تجيء حتمية لديهم بصدد الملاحم، وأن لا مانع من وجود ملاحم ذاتية، شعريّة، وملاحم نثرية، وبذلك تدخل معلقتا عنترة، وعمرو بين الملاحم، وكذلك السّير.

□ □ □

هنالك ما يسمى بالملاحم الطّبيعية، وبالملاحم الصّناعية، حسب ما قرر النقاد الغربيون، فالملاحم الطبيعية هي التي قيلت في أحداث العصر، وليس بينها وبين الوقائع زمن طويل وعدوا منها: الأليـاذة والأوذيسـة اليـونـانيتين لهومير، والماهابهاراته، والرّامايانا لڤياسّا، وڤالميكي الهنديين. أما الصناعية فهي التي مضى على وقائعها زمن طـويـل وعـدّوا نموذجهـا الأعلى الأنيـادة لڤيرجيل الروماني، ويلحق بها الشاهنامة للفردوسي الفارسي، أنشأها في عهد الدويلات الاسلاميّة تذكراً لماضي الفرس القدماء، وحـروب كشتـاسـب،

وارجاسب، كما تذكر ڤيرجيل بطله إينياس الطروادي بعد سنين طويلة، وبنى ملحمته على نضاله، ولقائه بديدو ملكة قرطاجة.

وقد عرف الفرنسيون بعد ذلك نوعاً من شعر الملاحم لا تتوفر فيه الشروط كاملة مثل: أغنية رولاند Chanson de Roland عقب زحف شارلمان على اسبانيا الاسلامية وانكساره، ويقرب منها ما سمّوه: Chansons des gestes، وللألمان ملحمة سيجفريد، وللإنجليز شبهها، ولكن ذلك جميعه يبقى ظلاً لملحمتي اليونان وملحمتي الهند.

□ □ □

تبقى المعلقات نمطاً خاصًا بالشعب العربي، يفترق عن الملاحم، ولكنه يفوقها عذوبة، ونضرة احتدام، وصدق مواقف.

□ □ □

نص المعلقة العنترية

هل غـادر الشعـراء مـن متـردّمِ أم هل عرفت الدار بعـد تـوهّـم

أعياك رسم الدار لـم يتكلّـم حتـى تكلّـم كـالأصمّ الأعجـم

ولقد حبست بها طـويلاً نـاقتي أشكو إلـى سُفْـعٍ رواكـد جُثّـم

يـا دار عبلـة بـالجـواءِ تكلّمـي وعمي صباحاً دار عبلـة واسلمـي

دار لآنسـةٍ غضيـض طـرفهـا طـوع العنـاق لـذيـذة المتبسّـم

فوقفـت فيهـا نـاقتـي وكـأنّهـا فَـدَنٌ لأقضي حـاجـة المتلـوّم

وتحـلّ عبلـة بالجواء وأهلنـا بـالحـزن فـالصّمّـان فـالمتثلّم

حُيّيـت مـن طلـل تقـادم عهـده أقـوى وأقفـر بعــد أم الهيثـم

حلّت بأرض الزائرين فأصبحـت عسراً عليّ طلابـك ابنـة مخـرم

علّقتهـا عـرضـاً وأقتـل قـومهـا زعماً لعمـر أبيـك ليس بمـزعـم

ولقـد نـزلـت فلا تظنـي غيـره منّـي بمنـزلـة المحَـبّ المكـرَم

كيف المزار وقـد تـربـع أهلهـا بعنيـزتيــن وأهلنــا بــالغيلـم

إن كنت أزمعت الفـراق فـإنمـا زمّـت ركـابكـم بليــل مظلـم

مـا راعنـي إلاّ حمـولـة أهلهـا وسط الديار تسفّ حبّ الخِمخِم

فيهـا اثنتـان وأربعـون حلـوبـة سوداً كخافية الغـراب الاسحـم

إذ تستبيـك بـأصلتـيٍّ نـاعـم عـذب مقبّلـه لـذيـذ المطعـم

وكـأنمـا نظـرت بعينـي شـادنٍ رشإ من الغـزلانَ ليس بتـوأم

وكأنّ فارة تاجر بقسيمةٍ ... سبقت عوارضها اليك من الفم
أو روضة أنفا تضمّن نبتها ... غيث قليل الدّمن ليس بمعلم
جادت عليها كل عين ثرّةٍ ... فتركن كل حديقة كالدّرهم
سحّاً وتسكابا فكل عشية ... يجري عليها الماء لم يتصرّم
فترى الذباب بها يغنّي وحدهُ ... هزِجاً كفعل الشارب المترنّم
غرداً يسنّ ذراعه بذراعه ... فعل المكبّ على الزناد الأجذم
تمسي وتصبح فوق ظهر حشيّةٍ ... وأبيت فوق سراة أدهم ملجم
وحشيّتي سرج على عبل الشّوى ... نهدٍ مراكله نبيل المَحْزِمِ
هل تبلغنّي دارها شدنيّة ... لعنت بمحروم الشّراب مصرّم
خطّارة غبّ السّرى زيافة ... تطسُ الإكام بكلّ خُف مِيثم
وكأنما أقِصُ الإكام عشية ... بقريب بين المنسمين مصلّمِ
يأوي إلى حزق النّعام كما أوت ... حِزق يمانية لأعجم طِمطِم
يتبُعْن قُلّة رأسه وكأنه ... زوجٌ على مرجٍ لهن مخيّم
صعل يعود بذي العُشيرة بيضه ... كالعبد ذي الفرو الطويل الأصلم
شربت بماء الدُّحْرُضين فأصبحت ... زوراء تنفر عن حياض الدّيلم
وكأنما تنأى بجانب دفّها الوحشيّ من هزج العشيّ مؤوّم
هرٍّ جنيب كلما عطفت له ... غضبى اتّقاها باليدين وبالفم
أبقى لها طول السفار مقرمَدا ... سنداً ومثل دعائم المتخيّم
بركت على ماء الرّداع كأنّما ... بركت على قصب أجشّ مهضّم
وكأن رُبّاً أو كحيلا معقداً ... حشّ القيانُ به جوانب قمقمِ
ينباع من ذفرى غضوب جسرةٍ ... زيّافة مثل الفنيق المقرَمّ
أن تغدفي دوني القناع فإنّني ... طبّ بأخذ الفارس المستلئم
أثني عليّ بما علمت فإنّني ... سمح مخالقتي إذا لم أظلم

فإذا ظلمت فإن ظلمي باسل ... مرّ مذاقته كطعم العلقمِ
ولقد شربت من المدامة بعدما ... ركد الهواجر بالمشوف المعلمِ
بزجاجةٍ صفراء ذات أسرّة ... قرنت بأزهر في الشمال مفدّم
فإذا شربت فإنني مستهلك ... مالي، وعرضي وافر لم يكلمِ
وإذا صحوت فما أقصّر عن ندى ... وكما علمت شمائلي وتكرمي

□ □ □

وحليل غانية تركت مجدّلاً ... تمكو فريصته كشدق الأعلمِ
عجلت يداي له بمارق طعنة ... ورشاش نافذةٍ كلون العندم
هلا سألت القوم يا ابنة مالكٍ ... إن كنت جاهلة بما لم تعلمي
إذ لا أزال على رحالة سابحٍ ... نهد تعاوره الكماة مكلَّم
طوراً يعرّض للطعان وتارة ... يأوي إلى حصد القسيّ عرمرم
يخبرك من شهد الوقيعة أنني ... أغشى الوغى وأعفّ عند المغنم
فأرى مغانم لو أشاء حويتها ... ويصدّني عنها الحيا وتكرّمي
ومدجّجٍ كره الكماة نزاله ... لا ممعن هرباً ولا مستسلم
جادت يداي له بعاجل طعنةٍ ... بمثقّف صدق الكعوب مقوّم
برحيبة الفرغين يهدي جرسها ... بالليل معتسّ السّباع الضّرّم
كمّشت بالرمح الأصم ثيابه ... ليس الكريم على القنا بمحرّم
وتركته جزر السباع ينشنه ... ما بين قلّة رأسه والمِعصمِ
ومشكّ سابغة هتكت فروجها ... بالسيف عن حامي الحقيقة معلم
ربذٍ يداه بالقداح إذا شتا ... هتّاك غايات التّجار ملوّم
بطل كأن ثيابه في سرحةٍ ... يحذى نعال السبت ليس بتوأم
لما رآني قد قصدت أريده ... أبدى نواجذه لغير تبسّم
فطعنته بالرمح ثم علوته ... بمهند صافي الحديدة مِخزم

عهدي بـه شـدّ النهـار كـأنّمـا ... خُضب اللبـان ورأسـه بـالمظلـم

ياشاة ما قنـصٍ لمـن حلّـت لـه ... حرمـت علـيّ وليتهـا لـم تحـرُم

فبعثت جاريتي وقلت لها اذهبـي ... فتحسّسي أخبـارهـا لـي واعلمـي

قالت رأيت مـن الأعـادي غـرّةً ... والشّاة ممكنـة لمـن هـو مـرتـم

وكأنّمـا التفتـت بجيـد جـدايةٍ ... رشـإ مـن الغـزلان حُـرٍّ أرثـم

نبئت عمرواً غير شـاكـر نعمتـي ... والكفـر مخبثـة لنفس المنعـم

ولقد حفظت وصاة عمي بالضّحا ... إذ تقلص الشّفتان عن وضح الفم

في حومة الموت التـي لا تشتكـي ... غمراتهـا الأبطـال غيـر تغمغـمِ

إذ يتّقون بـي الأسنـة لـم أخـم ... عنها ولو أني تضايـق مقـدمـي

لما رأيـت القـوم أقبـل جمعهـم ... يتذامرون كـررت غيـر مـذمّـمِ

يدعون: عنتر، والرمـاح كـأنّهـا ... أشطـان بئـر فـي لبـان الأدهـم

مـا زلـت أرميهـم بثغـرة نحـره ... ولبـانـه حتـى تسربـل بـالـدم

فـازور مـن وقـع القنـا بلبـانـه ... وشكـا إلـيّ بعبـرة وتحمحـم

لو كان يدري ما المحاورة اشتكى ... ولكان لو علم الكلام مكلّمـي(١)

والخيل تقتحـم الخَبـار عـوابسـاً ... مـا بيـن شيظمـة واجـرد شيظـم

ولقد شفى نفسي واذهب سقمهـا ... قيل الفوارس: ويك عنتـر أقـدم

ذُلُلٌ جمالي حيث شئت مشايعـي ... لبّـي وأحفـزه بـرأيٍ مبـرم

إني عدانـي أن أزورك فـاعلمـي ... ما قد علمت وبعض ما لم تعلمـي

خالت رماحُ ابني بغيـض دونكـم ... وزوت جواني الحرب من لم يَجرَم

ولقد كـررت المهر يدمي نحـره ... حتّى اتّقتني الخيل با بني حِذْيـم

ولقد خشيت بأن أموت ولم تـدر ... للحرب دائرة علـى ابنـي ضمضم

الشاتمـي عـرضي ولـم اشتمهمـا ... والنـاذريـن إذا لـم ألقهمـا دمـي

---

(١) وتروى: أو كان يدري ما جواب تكلمي.

إن يفعلا فلقد تركت أباهما جزراً لخامعةٍ ونسرٍ قشعم

□ □ □

رسمنا هذه المعلقة حسب رواية « الأعلم الشنتمري » و« الأصمعيّ »، وفيها قليلُ خلافٍ مع ما رواه الزوزنيّ، والشنقيطي، وسواهم. وقد يحسن أن نشير إلى مقاصد الشاعر التي قد يبدو عسيراً فهم منازعها لبعد الزمن، وغريب اللّغة.

شرح المعلقة

من الخطأ البيّن الذي وقع في، الأعلم الشنتمري، في قوله إن هذه المعلقة تشكّل أول شعر فاه به عنترة، إذ كيف يكون ذلك وهو يتحدث عن معارك خاضها، وخصوم لقيهم، وصرعى جندلهم، مما يدل على تجارب متعددة عاناها، وعاش في مجاحمها، ودلّ على تمرّس بالنظم، وسوابق كثيرة على المعلقة؟

□ □ □

١ ـ يتساءل الشاعر: هل ترك له الشّعراء السابقون مكاناً يملأ فراغه، أو يصلح وهنه، ليقول بعد ذلك شعراً جديداً؟

هذا البيت يستشهد به مؤرخو الأدب على قدم الشّعر الجاهليّ، ويذكرونه بعد بيت امرىء القيس:

عوجا على الطّلل المحيل لعلّنا نبكي الديار كما بكى ابن خزام

وبيت زهير القائل:

ما ترانا نقول الا معارا أو كلاماً من لفظنا مكرورا

والمقصد عمّا إذا بقي شيء يقوله الشاعر، ثم ينتقل إلى السؤال عن

الطلل، دار عبلة، ويسأل: هل عرفتها بعد تقادم عهدها، وانمحاء علاماتها، وتوهّم مواقعها؟

٢ ـ لقد جهدت جهدك أيها العاشق لتبيّن معالم دارها، ورسومها الممحوّة، ولمّا سألتها متوهماً أنها ستجيبك، لم ترد الدار جواباً يشفيك إلا كما يردّ الأعجم الذي لا يفهم السائل كلامه، والأصمّ الذي لا يسمع.

كان المنطق يقتضي أن يقول: الأبكم الأعجم، ولكنه ذكر الأصمّ، إمعاناً في الكلام الذي لا يبينه ناطقه، ولا من يوجه إليه.

٣ ـ لقد بقيت أتأمل رسوم الدار، وأتذكر من كان فيها، حابساً ناقتي التي من شأنها أن تسير، وترحل، وأنا لا أتحوّل عن ذكرياتي، ومخاطبتي تلك الآثار السود الضاربة في الحمرة، الصامتة في ركودها، الجاثمة لصوقاً بالأرض.

٤ ـ يا دار عبلة في الفلاة الواسعة تكلّمي، وردّي جواباً على سؤال، صبّحك الله بالخير، وسلمت من كل بلىً، وقدر ماح.

٥ ـ دار عبلة دار فتاة يؤنس حديثها، ويحلو خفرها وحياؤها، واستلانتها للعناق، بثغر عذب، طيّب الرّيق.

٦ ـ أوقفت ناقتي التي تشبه بفخامتها قصراً مشيداً، على دار عبلة لأتجاوب مع مشاعري التي تهواها، وتنتظر لقاءها، وأنا المتلوّم العاتب لسفرها المفاجىء.

٧ ـ وإذا سأل سائل عن هذا المكان الحبيب حيث كانت تحل عبلة مع ذويها، فهو «الجوار»، الفلاة الفسيحة، أو اسم لموضع بخصوصه، بينما نحل مع أهلنا في موضعي: الصّمان، والمتثلّم بالجبل (الحزن).

٨ ـ أيها المكان الذي كانت تحل فيه عبلة وكاد يخفى عليّ، أحييك تحيّة عاشق، وقد أقفرت، وخلوت من سكانك بعد أن رحلت عنك عبلة، أم الهيثم.

٩ ـ رحلت عبلة في ذويها، وحلّت في أرض لا تلبث فيها طويلاً، فهي أرض إقامة قصيرة لزائرين زيارة عابرة، أو لأعداء يزأرون كالأسود، ولا سبيل الى لقاء عبلة فيها، عبلة ابنة مخرم لقب أبيها، أو اضافة خلف الوعد إليها.

١٠ ـ علق قلبي بهواها فجأةً، ودون مقدمات، ومن العجيب أنني عشقتها، وأقتل من أهلها وفرعهم من أقتل، وهو موقف يجعل نيلها صعب المرام، لأنه من المتناقضات.

١١ ـ لا يمكن أن يفتر قلبي عن هواك، فقد حللت فيه، فلا يداخلنك شك في أنك نزلت منه منزلة الحبيب الأكرم.

١٢ ـ ولكن مواطننا بعد بعضها عن بعض، لذا فكيف تتسنى لي زيارتك ونحن في أرض «الغيلم» وأهلك في موضع «عنيزتين»؟

١٣ ـ عندما عزمتم على الرحيل، قمتم بذلك ليلاً عند اشتداد الظلمة، وأنت هل رضيت بذلك الفراق؟

١٤ ـ هزّ قلبي بالحزن هزاً ارتحال أهلها، وقد أوقفوا جمالهم في الحي لتحميلها وهي تأكل حب الخمخم لأنها لا تجد الكلأ.

١٥ ـ جمالهم فيها اثنتان وأربعون ناقة ولدت، فهي تدرّ لهم ألبانها، وتجعلهم موسوعين، مكتفين، وتلك النياق من الكريمات النادرات، فهنّ سود بلـون الخوافي من بواطن أجنحة الغربان السود.

١٦ ـ وإذا سألتني لماذا أكثر الحديث عنها، فما ذلك إلا أنّها تتمتّع

بثغرٍ برّاق سبى عقلي، وسحرني، بنعومته وعذوبة قبلاته، ولذّة ريقه.

١٧ ـ وكذلك عيناها بنظرات ظبي ناشيء ساحر اللفتات، أخذ يشتدّ في نموّه، ليس لأمه غيره فهي تحدب عليه، وهو منضّر بذلك الحنوّ.

١٨ ـ وكانت رائحة فمها العطرية، كحقّ العطر الذي وضعه التاجر في حقيبته، فهي تفوح كما يفوح منبت أسنانها، أو سوالف خديها بالعطر.

١٩ ـ وهي تفوح كلها بنشر لطيف كأنها روضة عذراء لم ترعها سائمة، ولم يخبث ترابها بالسّماد، وقد نضّرها الغيث الرخيّ، ونجت من وطء الأقدام.

٢٠ ـ سخا عليها المطر الذي لا ينقطع، فترك في جنباتها حدائق من الماء البراق، مستديرة استدارة الدراهم.

٢١ ـ جادها المطر المنهمر، وهو ينسكب بسخاء في العشايا، ولا ينقطع طيلة الليل.

٢٢ ـ لذلك فأنت ترى النّحل يدندن بأنغامه فرحاً، دندنة الشارب النشوان، الذي خلا له الجوّ.

٢٣ ـ النّحل يغرّد كسائر الطيور، ويحك ذراعه بذراعه كناية عن الأمن، والجذل كأنه رجل مقطوع اليد، كذلك فهو يحرك أصابع اليد الواحدة ويفرك عودي الزناد ليشعل بها النار [1].

٢٤ ـ ثم ينتقل عنترة من الحديث عن فم حبيبته عبلة، وطعمه، وعطره

---

(١) قال الأستاذ مصطفى السّقا، شارح هذه المعلقة في كتابه «مختار الشعر الجاهلي» إن هذا التشبيه من التشبيهات العقم التي لا نظير لها في الجاهلية، ونحن نضيف قائلين: إن الشاعر العبقري هو الذي يلتفت إلى الأشياء النادرة، التي يمر بها الآخرون دون أن يعيروها كبير أهمية ويجعلون من ذلك أمراً عظيماً.

مشبهاً نكهته بالروضة، إلى الكلام عن شأنه في النضال والصراع، وشأنها في الراحة، والطمأنينة، فيقول:

عبلة تصبح وتمسي فوق ظهر فراش ناعم الحشو، إن جالسة أو نائمة، بينما مبيتي ساهراً على ظهر حصان أسود الجلد، ملجم استعداداً للحرب، دفاعاً عن القبيلة.

٢٥ ـ حصاني ذاك ضخم، مرتفع القوائم، عالي الخفين، سمين ممتلىء، فعليه أضع حشيتي، بينما حشية عبلة على الأرض المطمئنة.

□ □ □

٢٦ ـ بعد الكلام على الحبيبة، والمرور لمحاً بحصانه نراه يتحدث عن ناقته فيقول:

هل يمكن أن تبلغني دار الحبيبة البعيدة، ناقة بعد العهد بينها وبين الحمل والولادة، فهي قويّة شديدة.

٢٧ ـ إنها ناقة تتمايل في سيرها يمنة ويسرة، وتحرك ذنبها، وهي تطأ الإكام، المرتفعات، وتذلّلها، بخفها الشديد الوطء.

٢٨ ـ وكأنني أقطع الفلوات والمرتفعات بوعل يقارب ظلفيه عند سيره السريع، ذلك الذي لا يعيقه شيء في سيره.

٢٩ ـ هذا الظّليم الوعل يأوي إلى جماعة النّعام، فتبدو غرابته بينها: كما يأوي الأعجمي الذي يطمطم بكلامه فلا يفهم إلى جماعة يمنية عربية.

٣٠ ـ يبدو ذلك الظليم وقد مدّت النعام أعناقها فوقه كالخيام المنصوبة أو كالغطاء يوضع على عيدان الهودج.

٣١ ـ هذا الظليم طويل العنق صغير الرأس كالنعام يتفقد بيضه في «ذي

العشيرة » ذلك الموضع المختار، كأنه عبد يلبس فروا، ولكن أذنيه مقطوعتان.

٣٢ ـ بعد أن أسهب بوصف ناقته بالظليم. والظليم الذي أوى إلى جماعة النعام، عاد إلى ناقته ولذلك فهي تتجنب مياه الأرض الأعجمية. وتنحرف عنها لأنها لم تألفها.

٣٣ ـ ناقتي هذه تبعد بجانبها الأيمن الذي هو مظهر سيرها الناشط عن أن ترسَل أصواتاً من رحلها أو من أثر الجهد، فهي أبداً شديدة القوى.

٣٤ ـ وهي تلتفت ناشطةً كأنها غضبى من هرٍّ يقف بجانبها فيسلّط عليها براثنه، وفمه الشرس.

٣٥ ـ جعل طول السّفر، والسّير، سنامها قوياً صلباً كأنما بني بالآجرّ. وقوائمها كأعمدة الخيام.

٣٦ ـ وعندما رأت الماء في مكان اسمه « الرّداع » تبرك لتشرب. وتحدث صوتاً كأنه صوت القصب الأجشّ المنكسر إذا بركت عليه.

٣٧ ـ وكأن عرقها من جهد السير، دبس أسود، أو عسل، أو قطران سائل، أوقد عليه النار ليسيل خدم يشعلون تحت قدورهم الصغيرة.

٣٨ ـ ينبع عرقها من وراء أذنها، حيث العظم الناشىء، وذلك العرق بسبب سيرها الشديد كأنها الفحل الذي يقتنى فارها لا للركوب.

٣٩ ـ ثم يعود إلى عبلة فيقول:

إذا كنت ترخين قناعك كيلا أراك، فاعلمي أنني أبرع الفرسان بأسر الفارس الذي يرخي قناعه، ويلبس لامة الحرب، فكيف بك وأنت مهاة الهودج، والخباء؟

٤٠ ـ فإذا عرفت ذلك عني، فإنك ستحبينني، لذا فأثني عليّ معتزة بشمائلي التي أظهرها السماح، إلاّ إذا ظلمت.

٤١ ـ ويل لظالمي، لأنه سيلقى مني شدةً تجعل عقابي مرًّا في فمه كطعم العلقم.

٤٢ ـ ومن شمائلي يا عبلة أنني شربت المدامة بعد ركود الهاجرة، وفتور حرارة الشمس بدينار ذهبيّ مَجْلوّ.

٤٣ ـ ومن زُجَاجةٍ صفراء ذات خطوط ونقوش، إلى جانبها إبريق فضيّ مسدود الفم، في الريح الشمالية الطريّة، أو باليد الشمال.

٤٤ ـ أنا مستهلك مالي عند الشراب يا عبلة أجود به سمحاً، ولكن عرضي شرفي، فهذا يبقى موفوراً لا يخدشه خادش.

٤٥. ـ وعند صحوي من السكر لا أقصّر في الكرم والعطاء، وهذه أشياء تعلمينها عن كرمي وهو من شمائلي الكثيرة.

٤٦ ـ ومن شمائلي يا عبلة، بطولتي التيْ منها أنني صرعت شاباً بطلاً كان زوجاً لحسناء غنيّة المحاسن، فقد تركته صريعاً على التراب، يتفجر ما تحت إبطه بدم تفجراً له صوت كأنه الصفير الذي يخرج من فم الأعلم الذي شقت شفته العليا.

٤٧ ـ عاجلت يداي ذلك البطل، حليل الغانية، بطعنة نافذة، تركت دمه يتفجّر، وينتثر رذاذاً بلون العندم الأحمر.

وقال يداي، بدلاً من يدي، لأن الطعنة بيد واحدة تساعدها الأخرى، بالإمساك الدقيق بزمام الحصان.

٤٨ ـ فاسألي الخيل يا عبلة ابنة مالك، إن كنت جاهلة بما لم يصل إليك خبره.

٤٩ ـ سليها وأنا على ظهر حصان سريع كأنه يسبح في بحر، أو يطير سابحاً في هواء، مرتفع الجانبين، تحيط به الأبطال الفرسان من كل جانب، وتنوشه بالحراب، فيجري دمه.

٥٠ ـ فطوراً يتعرض صدره لطعنات الرماح، وتارة يأوي إلى فريقه الذي كثر عددهم، واشتدت رماحهم، يعني قومه الذين يحمون ظهره.

٥١ ـ في هذه الحالة يا عبلة، يخبرك من شهد المعركة تلو المعركة، ورآني كيف أصدر وأورد، كيف أندفع إلى الحرب بعزيمة قحّامة، وكيف ارتدّ عن لمس الأسلاب والغنائم.

٥٢ ـ المغانم في متناول يدي، لو شئت لحزتها جميعها لكن ترفّع نفسي. وحياءها يمنعاني من الطمع في تلك الأسلاب والغنائم.

٥٣ ـ وإليك يا عبلة قصة معركة من معاركي اللامعة الساطعة:

نازلني بطل تام الأهبة للحرب، وسلاحه كامل، وقد خاف الفرسان الأبطال من منازلته، إذ لا يمعن في الهرب، ولا يستسلم.

٥٤ ـ هذا البطل المدجج اندفعت إليه، وطعنته طعنة سريعة نافذة، من رمح مقوّم، صلب، أحسن اعداده.

٥٥ ـ كانت تلك الطعنة شديدة حيث تركت فراغاً في جسده، كما ترك تدفق دمه صوتاً يهدي في الليل السّباع التي تطلب طعامها.

٥٦ ـ كان ذلك البطل بين يديّ كألعوبة، ساعة رفع رمحي الطويل ثيابه، ثم هوى، وأنت تعلمين أن البطل النبيل ليس محرماً طعنه، وتجندله على الحصباء بطعن القنا.

٥٧ ـ مثله صاحب درع ضافية، ضيّقة الفروج يظن أنها تحميه من سنان رمحي، مزّقت حلقاتها بسيفي، وتركت صاحبها البطل المعروف في الحروب، مجندلاً كسابقيه.

٥٩ ـ يداه سريعتان في تحريك القدام، رايات القمار في الشتاء، إذ هو كريم يشتريها، ليقلعوا عن عادتهم.

٦٠ ـ كان ذلك الرجل الكريم، الخلوق، جهير المنظر، طويلاً، كأن

ثيابه وضعت على شجرة سامقة ضخمة. وهو لغناه، وشرفه يحتذي نعالاً رقيقة، مترفة، وقد نما جسده لأنه كان وحيد أبويه.

٦١ ـ هذا البطل الفخم الضخم، أبدى نواجذه حقداً عليّ لمّا رآني أقصده في المعركة، لا تبسّماً وفرحاً.

٦٢ ـ فسدّدت إليه طعنة برمحي، ثم علوته بسيفي المجلوّ الحادّ، الذي يقطع سريعاً.

٦٣ ـ رأيته وقد ارتفع النهار كأنما طلي رأسه بالعظلم، ذلك النبات الأرجوانيّ اللّون.

٦٤ ـ «يا شاة ما قنص» يا غزاله صياد من الصيّادين، حلّت لمن تعلقها، وحرّمت عليّ، ليتها لم تحرّم، إذ هي جارتي، وأنا وفيّ، محام عن الجيران.

٦٥ ـ قلت لجاريتي اذهبي، وتنسمي أخبارها، واعلمي كل شيء عن حالها، وعودي فأخبريني.

٦٦ ـ عادت جاريتي قائلة: هناك غفلة من الأعادي، ويمكنك أن تلاقيها، كما هو ممكن لكل مرشم بالحب، لغفلة الرقباء.

٦٧ ـ وكأن هذه الحسناء تلتفت بعنق غزالة بنت خمسة أشهر أو ستة، أو رشإ من الغزلان جميل التكوين في أنفه وشفته بياض.

٦٨ ـ ثم ينتقل إلى الحديث عن أعدائه وحروبه فيقول:

ترامى إليّ أن عمراً يجحد فضلي عليه وينكره، وجحود النعمة دليل على خبث نفس الجاحد مثلما هو سبب في تغير نفس المنعم.

٦٩ ـ ولقد حفظت وصية عمي بالضحى، وقت احتدام المعارك، عندما تتقلّص الشفتان من الحرّ، وغبار المعارك، عن الأسنان اشمئزازاً من طعم الحرب.

٧٠ ـ في أتون المعركة، ودوران الموت، حيث يشتكي الأبطال من هول الحرب بالتّغمغم، وذلك صوت من داخل الفم غير مفصح الا عن الرعب والهول.

٧١ ـ هناك يحتمي بي فرسان قومي من طعن الرماح، وأنا الملاذ الذي لا يجبن أو يحيد، وإن كان مقدم حصاني قد تضايق من كثرة الطعان، وهجوم الفرسان.

٧٢ ـ ولذلك كررت محمود الشجاعة عندما رأيت قومي قد أقبلوا يحضّ بعضهم بعضاً على القتال.

٧٣ ـ أقبلوا بجموعهم يدعون عنتر للإقدام، والرماح كأنها حبال البئر في صدر حصاني الأدهم.

٧٤ ـ صدر حصاني صدر، لذلك فأنا ما زلت أرميهم بصدره، وهزمة حلقه، حتى لبس من الدم سربالاً.

٧٥ ـ مال حصاني عن طعن الرماح، وصهل صهيلاً فيه رقة ليحن صاحبه عليه، ويخرجه من مأزق المعركة وأخذ يشكو من طعن الرماح بصدره، دامعاً، ومحمحماً بصهيل حنون.

٧٦ ـ لو كان حصاني يعرف كيف يحاورني بالكلام لشكا إليّ ما يلاقيه، ويا ليته كان قادراً على الكلام ليكلمني، فهو صديقي، ورفيقي في الحرب.

٧٧ ـ والخيل تقتحم الخبار أي الأرض اللّينة، وقيل الغبار، عابسة من هول المعركة، وهي خيل طويلة، أفراسها، وأحصنتها، تغوص في تلك الأرض الليّنة.

٧٨ ـ لقد زهاني، وشفى نفسي مما علق بها من عبودية الماضي، وأبرأها من مرض ضياع النسب، قول الفوارس يا عنترة أقدم. إذ لم يجدوا

سواي بطلاً يفوقهم، ويدافع عنهم، ويقدم لهم مجد النصر.

٧٩ ـ ذلل جمالي، رواحلي مطيعة، أسافر عليها حيث شئت، يرافقني قلبي الشجاع الصابر، ويدفع قلبي عقلي ذو الرأي الحكيم، وهذا هو نسبي إلى جانب بطولتي التي يحتمي بها الفرسان من أرومات قومي.

٨٠ ـ فياشاة، إني قد منعني من أن أزورك رغم حبي لك ما قد علمت من حقد قومك عليّ، وبعض ما جهلته من شمائلي أنني لا أقصد جارتي، وحليلات بني قومي.

٨١ ـ ثم ينتقل فجأة إلى الكلام على أعدائه، ويربط عدم زيارتها بعداوة قومها وخاصة: عبساً وذبيان ابني بغيض.

٨٢ ـ ولقد كررت المهر، مهري الذي اندفع يقابل الأعداء، ونحره مدمّى من أثر الطعان في صدره، إلى أن خافت الخيل مني، وخاصة اثنين من فرسانها وهما ابنا «حزيم» هرم وحصين ابناضمضم المرّيّ.

٨٣ ـ لا بدّ من قتلهما، وقد خشيت أن اموت، ولم أقتلهما.

٨٤ ـ لأنهما أكثرا من شتمي، وتوعدي، وأنا لم أحرك فمي بشتمهما، واللذان نذرا دمي، وأضمرا قتلي في غيابي، وسيعلمان المآل عند اللقاء في المعركة.

٨٥ ـ إن يشتماني، وينذرا دمي، فلا ينسيا أني قد قتلت أباهما «ضمضما المرّيّ» وتركته طعاماً للضبع، والنّسور الهرمة.

□ □ □

هذه المعلقة الملحمة، أو ذات النَّفَس الملحميّ، حسب الرأي الذي اعتمده دارسو الملاحم من غربيين وشرقيين، وهي كما نرى قصيدة طويلة من خمسة وثمانين بيتاً تدور حول الشاعر في حربه، وحبه، وشؤونه

الأخرى مثل الناقة، والحصان، والشراب، والطّلل، والجارة، وهي في جملتها محور هذه «الأنا» العنترية، وبطولاتها في المعامع، وحبّها الوفيّ.

□ □ □

عنترة في هذه القصيدة يسرد قصّة الحرب، مثلما سرد امرؤ القيس قصة الحبّ، والأعشى قصة الخمرة، وقد جرى فيها على النسق المرقسيّ من حيث البدء بذكر الطّلل والمرأة، والتواثب من موضوع إلى آخر في إطار حميم من شؤون الشاعر.

وأكثر ما يأخذ لبّنا، ويأسر احساسنا مواقف من قصيدته نشير إليها حسب التالي:

١ - تحيته دار عبلة، وطلبه منها الكلام.
٢ - وصف الروضة، والذباب، النحل، الذي يحك ذراعه بذراعه، وتشبيهها بعطر فم الحبيبة.
٣ - حديثه عن شمائله إذا ظُلم، وإذا شرب، وإذا صحا.
٤ - عفّته عند المغنم، حياءً، وشرفاً.
٥ - حكايته عن المدجج بالسلاح وكيف جندله بطعنة من رمحه، وكون ذلك المدجّج نبيلاً من علية القوم وليس الشريف العالي المقام محرماً على تناول الرماح، تنوشه، وتجندله.
٦ - صياح قومه من فرسان المعركة: «أقدم يا عنترة» واعتمادهم عليه كمحور البطولة في حروبهم.
٧ - ما قصد به حصانه في حواره، وشكايته، واحتدامه، وتلك المشاركة الوجدانية بينه وبين ذلك الأدهم.

□ □ □

بقي هنالك أمر نلزم بالإشارة إليه، وهو أنّ معلقة عنترة حسب رواية الزوزوني، والشنقيطي، والسّقا، وثلاثتهم اعتمدوا على رواية الأصمعيّ في الأصل، لم يذكروا بيتين شهرا لعنترة، لاحقين بالمعلقة وهما:

ولقد ذكرتك والرماح نواهل	مني وبيض الهند تقطر من دمي
فوددت تقبيل السيوف لأنها	لمعت كبارق ثغرك المتبسّم

وهذان البيتان يضعان الشاعر في قمة شعراء الغزل، وربما بدر للرواة ما بدر من رائحة الوضع الاسلاميّ، ونسبتهما إلى الشاعر.

أيام الحرب

لأيام الحرب في شعر عنترة المكانة الأولى، فهـو رجـل بفـروسيتـه، وشجاعته دربه من العبوديّة إلى الحريّة، ومن الخدمة إلى السيادة، فلا غرابة في أن تدور قصائده حول المعارك التي خاضها، وانتصر فيها.

وقد جرت عادة المؤرخين أن تسجّل للعرب الجاهليين اصطلاحهم حول الحروب إذ سموا معاركهم الكبرى بالأيام، وليس معنى ذلك أن المعركة دامت يوماً واحداً، بل ذلك رمز، لأن بعض المعارك تتكرر، وتتمادى حتى تصل إلى أربعين يوماً مثل يوم البسوس، أو أقل من ذلك مثل يوم داحس والغبراء، أو يوم حليمة. ومعارك عنترة الأيام قد تتصل بغيرها، وقد تنفرد، رها نحن بصدد عرض جوانب منها:

«يوم الفروق» (١)

ونحن منعنا بـالفـروق نسـاءنـا   نطرّف عنهـا مشعلات غـواشيـا

يقصد أننا حمينا يوم «الفروق» نساءنا، ندفع الكتائب المتفرقة عنها

---

(١) يوم الفروق يوم خروج بني عبس من ذبيان، وانطلاقهم إلى بني سعد بن مناة من تميم فحالفوهم، فهمّ بنو سعد أن يغدروا بهم لما عندهم من أبل فاخرة، وخيل كريمه، فانسلت عبس ليلاً، ولحقتهم بنو سعد فاقتتلوا في مكان اسمه «الفروق» وهو واد بين اليمامة والبحرين، وانهزم بنو سعد، وقتل عنترة «معاوية بن نزال» جد الأحنف» ورجع بنو عبس إلى ذبيان وفي ذا يقول عنترة.

عندما غشيت البيوت، وأحاطت بالقوم.

حلفنا لهم والخيل تَردي بنا معاً ... نزايلكم حتى تهروا العواليا

عوالي زرقاً من رماح ردينة ... هرير كلاب يتّقين الأفاعيا

يقول: حلفنا لكم أن لن نترككم، والخيل تسرع بنا وبكم حتى تصيح رماحكم من الخوف، أو التعب.

رماحكم الزرق من موضع اسمه ردينة، تلك التي يجيء هريرها أي صياحها كصياح كلابٍ خافت من الحيّات.

وقد وصف الرماح بالزرق التفاتاً إلى صفة امريء القيس قبله:

ومسنونة زرق كأنياب أغوال

□ □ □

«يوم عراعر»[1]

ألا هل أتاها أن يوم «عراعرٍ» ... شفى سقماً لو كانت النفس تشتفي

فجئنا على عمياء ما جمعوا لنا ... بأرعن لا خلّ ولا متكشّفِ

فإن يك عز في قضاعة ثابت ... فإن لنا برحرحان وأسقف

كتائب شهبا فوق كل كتيبةٍ ... لواء كظلّ الطائر المتصرّفِ

وغادرن مسعوراً كأنّ بنحره ... شقيقة برد من يمان مفوّف

يقول: هل جاءها خبر انتصارنا في يوم «عراعر» حين منعتنا بنو «كلب» من الشرب، والسقي، ونحن أحوج ما نكون لذلك بعد أن نفتنا حنيفة عن اليمامة؟

اشتدوا علينا. فدفعناهم وقتلنا سيدهم «مسعود بن معاد» وقد قاد لنا جيش كثير العدد، مباغتاً، مفاجئاً، فدلّ على طمع وخبث.

---

(١) هو يوم بين عبس وبني كلب على ماء اسمه «عراء» فانتصرت عبس وقتل زعيم كلب مسعود بن معاد.

ونحن لنا ماضي المجد، فإن فخرت قضاعة الكبرى بعزّها الثابت فإن أماكن كثيرة تشهد لنا منها رحرحان وأسقف، كما أن لنا كتائب شهبا من لمع الأسنة، وكل كتيبة فوقها علم يخفق كما يخفق الطير بجناحيه، وكانت الحصيلة أن سيد بني كلب مسعود بن معاد، تلقى مني طعنة في صدفه، حوّلت صدره كأنه قطعة من قماش يماني مخطط، مزيّن بالأرجوان.

□ □ □

يوم الهباءة

ومرقصةٍ رددت الخيل عنها	وقد همت بإلقاء الزمام
فقلت لها اقصري منه وسيري	وقد قرع الرجائز بالحزام
أكرّ عليهم مهري كليماً	قلائدهُ سبائب كالقرام
يقدمه فتى من خير عبسٍ	أبوه وأمّه من آل حام

□ □ □

يوم الهباءة ماء على مشارف المضارب لبني سليم، وذلك عندما انهزمت عبس، واستنقذ منها حذيفة بن بدر الفزاري ما كان في أيديهم، فحال عنترة بينهم وبين النساء، وذهب الفزاريون في طريقهم، وتخلف «حذيفة» وأخوه «حمل» فنزلا يغتسلان في الماء، فأدركتهما عبس وقتلتهما، وكان عنترة السبب في ذلك، وهذه المعركة من ذيول حرب داحس والغبراء.

يوم انفراده

غزت بنو عبس بني تميم، وعلى العبسيين قيس بن زهير، فانهزم العبسيون، فلحقت بهم بنو تميم، فوقف لهم عنترة يصدّهم عن قومه، ولا يحاربهم لشأن كان بينه وبين أهله العبسيّين، وبذلك نجا بنو عبس، وساء ذلك قيساً ولعن ابن السوداء، ففي ذلك يقول عنترة:

إني امرؤ من خيـر عبس منصباً ... شطري، وأحمي سائري بـالمنصـل
إن يُلحَقوا أكرر، وإن يستلحمـوا ... أشددْ، وإن يُلْغَـوا بضنـك أنـزل
حين النزول يكـون غـايـة مثلنـا ... ويفرّ كـل مضلّـلٍ مستـوهـل...

□ □ □

وإذا الكتيبة أحجمت وتلاحمـت ... ألفيت خيراً مـن معـمٍّ مخـول...
والخيـل تعلـم والفـوارس أننـي ... فـرّقـت جمعهـم بطعنـة فيصـل
إذ لا أبادر في المضيق فـوارسي ... ولا أوكّـل بـالـرعيـل الأوّل

□ □ □

إن المنيّـة لـو تمثّـل مثّلـتْ ... مثلـي إذا نـزلـوا بضنـك المنـزل
وإذا حملتَ على الكريهة لم أقـل ... بعـد الكـريهـة: ليتنـي لـم أفعـل

□ □ □

في هذه الأبيات يرسم عنترة انتماءه إلى أرومات عبس النبيلة، فهو ابن شداد، وقد اعترف به، وكرّ وفرّ في سبيل القبيلة، لكنه عبد أسود، وإن كان أبوه أميراً أبيض من سادات عبس لذلك أعلن مفتخـراً أن نصفـه مـن أصل نبيل، والنصف الثاني يشرّفه السّيف، والبطولة، فقد كملت السيادة له.

ثم أبدى حرصه على رضا قبيلته، وأظهر ذلك في ثلاث حالات:
إن يلحق بهم قوم آخرون أكرر وأصدّ اللاحقين.
وإن يخوضوا معركة، أخضها معهم وأنصرهم.
وإذا تضايقوا في معترك، أنزل وأخلصهم.

□ □ □

وعندما تشتد الحرب، وتحجم الكتائب عن جاحمها، وتلتحم الصناديد بالصناديد، تجدني أيها الشاهد هناك خيـراً ممـن يفخـرون علـي بنسـب الأب، ونسب الأمّ.

□ □ □

والخيل تعلم مقداري وفوارسها هم الذين يدركون أنني فرقت جموع

الأعداء بطعنات رمحي، وضربات سيفي. وأنا لا أترك فوارسي الرفاق في ضنك، ودرب مضيق، ولا أغفل الصف الأول من الأعداء فأقي فوارسي بأسهم، بإسراعي إلى المبادرة أولاً.

□ □ □

أنا عنترة الفوارس، بطل عبس، وأفرس فرسان العرب، لو أن الموت تمثّل لكان في شكلي وشخصي وذلك ساعة ينزل قومي منزلاً صعباً، فعندئذٍ أكون الموت لأعدائهم الذين ضايقوهم.

وإذا اندفعت إلى المعركة لا أندم، فأنا أقررُ حرًّا مختاراً الساعة التي فيها أقدم، وأعلم متى أحجم.

أخلاقه من شعره

(١)

أثني عليّ بما علمت فإنني سمح مخالقتي إذا لم أظلم
فإذا ظلمت فإن ظلمي باسل مرّ مذاقته كطعم العلقم

□ □ □

(٢)

فإذا شربت فإنني مستهلك مالي، وعرضي وافر لم يكلم
وإذا صحوت فما أقصّر عن ندى وكما علمت شمائلي وتكرّمي

□ □ □

(٣)

يخبرك من شهد الوقيعة أنني أغشى الوغى، وأعف عند المغنم

□ □ □

(٤)

ولقد أبيت على الطّوى وأظلّه حتى أنال به كريم المأكل

□ □ □

(٥)

وقد علمت بنو عبس بأني أهش إذا دعيت الى الطّعان

وأن الموت طوع يدي إذا ما وصلت بنانها بالهندواني

□ □ □

(٦)

ومكروب كشفت الكرب عنه بضربة فيصل لمّا دعاني
دعاني دعوة والخيل تَردى فما أدري أباسمي أم كناني
فلم أمسك بسمعي إذ دعاني ولكن قد أبان له لساني
فكان إجابتي إياه أني عطفت عليه خوّار العنان

□ □ □

(٧)

أغشى فتاة الحيّ عند حليلها وإذا غزا في الحرب لا أغشاها
وأغضّ طرفي ما بدت لي جارتي حتى يواري جارتي مأواها
إني امرؤ سمح الخليقة ماجد لا أتبع النفس اللجوج هواها

□ □ □

(٨)

ولئن سألتَ بذاك عبلة أخبرت أن لا أريد من النساء سواها
وأجيبها إمّا دعت لعظيمة وأعينُها وأكفّ عمّا ساها

□ □ □

١ ـ أنتِ يا عبلة حبيبتي، ولا أهتم لثناء، أو مدح، أو إعجاب إلا إذا صدر عنك، فبادليني هذه المشاعر وأثني على خلقي وشجاعتي، فأنا سموح، برّ، وديع إلا إذا ظلمت فإن ظلمي مرّ كطعم العلقم أذيقه الظالم.

٢ ـ ومن شمائلي يا عبلة أنني إذا شربت أبذل مالي عن سخاء، ولكن شرفي يبقى مصوناً، فلا أتبذّل، أو أتحامق، أو أعتدي.

وليس كرمي ساعة الشراب فحسب، بل أنا سموح جواد في صحوي. وأنت تعلمين عن أخلاقي وكرمي.

٣ ـ وإذا سألت عني الخيل والفرسان يحدثك المتحدث بأنني أشجع

الفرسان، ولكن نفسي تعف، وتسمو عن أن تأخذ أسلاب القتلى، ومغانم الحرب.

٤ً ـ ثمة خليقة أخرى من خلائقي عليك أن تعرفيها وهي أنني أجوع ولا أسرق، ولا أنهب، ولا أعتدي، إلى أن يتسنى لي طعام شريف، كريم.

٥ً ـ عبس، قومي يعلمون أنني سيد شجعانهم، وأنني أفرح إذا دعيت إلى خوض معركة، كما يدركون أن الموت ألعوبة أناملي. ساعة أصل يدي بالسيف الهندوانيّ.

٦ً ـ وربَّ مكروب، أحاطت به مخاطر الموت في المعارك، أسرعت لانقاذه، فكانت ضربة حسامي باب الخلاص من كربه عندما استغاث بي، ودعاني لأنجيه.

دعاني باسمي، أو كنى به، شيء لست أذكره، وكانت الخيل تقتحم المعركة مسرعة ضبّاحة. ما كادت تصل إلى سمعي استغاثته لهول المعركة، ولكنني صحت معلناً له إقدامي كالبرق لنجدته. وكان من مظهر اجابتي إطلاق العنان لحصاني، حيث أرخيت عنانه، ليحتدم، ويدركه بسرعة.

٧ً ـ ومن شمائلي أنني أزور نساء الحي وأزواجهن ماثلون، فإذا غابوا الحرب أو سواها، فإنني لا أنتهز الفرص وأزورهنّ.

كما أنني أصرف نظري عن مراقبة جارتي إذا خرجت لحاجتها من خبائها، ولا أنظر نحوها إلى أن تتوارى في مسكنها.

هكذا أنا، سمح، أبيّ، ألجم نفسي عن الصغائر، ولا أتبعها هواها مهما لجّت بي تطلب الأوطار، واللذائذ.

□ □ □

٨ً ـ وإذا سأل سائل عبلة: هل عنترة مخلص لك؟ أجابت: عنترة مخلص وفيّ، لا يفكر في امرأة سواي.

كذلك أنا رهن بإشارة عبلة ساعة تدعوني إلى أمر عظيم، أو تطلب مني مساعدة، ومثلي في ذلك ساعة أحجم عن كل ما يزعجها أو يسيء إليها، أو ما لا ترضاه.

عبلة في شعره

ولئن سألتَ بذاك عبلة أخبرت ... أن لا أريد من النساء سواها

□ □ □

ألا يادار عبلة بالطَّويّ[1] ... كرجع الوشم في رسغ الهديّ[2]

□ □ □

عجبت عبيلة من فتى متبذّل ... عاري الأشاجع[3] شاحب كالمنصل[4]
فتضاحكت عجباً وقالت قولةً ... لا خير فيك كأنها لم تحفل،
فعجبت منها كيف زلّت عينها ... عن ماجد طلق اليدين شمردل[5]
لا تصرميني[6] يا عبيلَ وراجعي ... فيّ البصيرة نظرة المتأمّل
فلربّ أملح منك دلاً فاعلمي ... وأقرّ في الدنيا لعين المجتلي
وصلت حبالي بالذي أنا أهله ... من وُدّها وأنا رخيّ المطول[7]

□ □ □

يا عبل كم من غمرة باشرتها ... بالنفس ما كادت لعمرك تنجلي
أمّا تريني قد نحلت ومن يكن ... غرضاً لأطراف الأسنّة ينحل
فلربّ أبلج[8] مثل بعلك بادنٍ[9] ... ضخم على ظهر الجواد مهبّل[10]

---

(١) الطّويّ: اسم مكان.
(٢) الهدي: المرأة تهدي إلى زوجها.
(٣) الأشاجع: عروق ظاهر الكفّ.
(٤) المنصل: السّيف.
(٥) شمردل: طويل.
(٦) لا تصرميني: لا تهجريني.
(٧) المطول: الحبل كناية عن صبره، وسماحه.
(٨) أبلج: أبيض مشرق الوجه.
(٩) بادن: ضخم.
(١٠) مهبّل: ثقيل.

غـادرتـه متعفـراً [١] أوصـالــه والقـوم بيـن مجـرّحٍ ومُجـدّل

□ □ □

هلاّ سألت الخيل يا ابنـة مـالـك إن كنت جـاهلـة بمـا لـم تعلمـي
يخبرك من شهد الوقـائـع أننـي أغشى الوغـى وأعـفّ عنـد المغنـم

□ □ □

إن تغدفي [٢] دوني القناع فإنني طب [٣] بأخذ الفارس المستلئم [٤]
أثنـي علـيّ بمـا علمـت فـإننـي سمح مخـالقتـي [٥] إذا لـم أظلـم

□ □ □

يا دار عبلة بالجواء [٦] تكلّمـي وعمي صباحـاً دار عبلـة واسلمـي
دار لآنسةٍ [٧] غضيـض طـرفهـا طـوع العنـاق لـذيـذة المتبسّـم

□ □ □

وتحـلّ عبلـة بـالجـواء وأهلنـا بالحزن [٨] ،فالصمّان [٩] ،فالمتثلّم [١٠]
حلت بأرض الزائرين [١١] فأصبحت عسراً علـيّ طلابـك ابنـة مخـرم
علقتهـا عـرضـاً وأقتـل قـومهـا زعمـاً لعمـر أبيـك ليس بمـزعـم

---

(١) متعفراً: مجندلاً، ملوثاً بالعفر، التراب.
(٢) إن تغدفي: إن تسر لي قناعاً يستر وجهك كما يسدل الفارس قناعاً يقي به وجهه.
(٣) طب: حاذق.
(٤) المستلئم: لابس لأمة الحرب، درعها.
(٥) مخالقتي: معاملتي.
(٦) الجواء: اسم موضع، أو أنه الفلاة.
(٧) آنسة: من يؤنس حديثها.
(٨) الحزن: الجبل.
(٩) الصمان: اسم موضع.
(١٠) المتثلم: اسم موضع.
(١١) الزائرين: الذين يزأرون كالأسود.

ولقد نـزلـتِ فلا تظنّـي غيـره ... منّـي بمنـزلـة المحـبّ المكـرم
كيف المزار وقـد تـربّـع أهلها ... بعنيـزتيـن[١] وأهلنـا بـالغيلم[٢]

□ □ □

إذ تستبيـك بأصلتي[٣] نـاعـم ... عـذب مقبّلـه لـذيـذ المطعـم
وكأنما نظـرت بعينـي شـادن[٤] ... رشـإٍ مـن الغـزلان ليس بتـوأم
وكـأن فـارة[٥] تـاجـر بقسيمـة ... سبقت عوارضهـا إليـك مـن الغـم
أو روضة أنفاً[٦] تضمـن نبتهـا ... غيثٌ قليل الدمـن[٧] ليس بمعلـم
جادت عليها كـل عيـن ثرّةٍ[٨] ... فتركن كل حـديقـة كـالـدرهـم

□ □ □

تمسي وتصبح فوق ظهـر حشيّـةٍ ... وأبيـت فـوق سراة أدهـم ملجـم

□ □ □

من صوره النادرة

(١)

فترى الذباب بهـا يغنّـي وحـده ... هزجـاً كفعـل الشـارب المتـرنّـم
غـرداً يسـنّ ذراعـه بـذراعـه ... فعل المكبّ على الزنـاد الأجـذم

---

(١) عنيزتين: اسم موضع.
(٢) الغيلم: اسم موضع.
(٣) أصلتيّ: برّاق.
(٤) شادن: ابن الغزالة لسنته.
(٥) فارة: وعاء من جلد يوضع فيه الطّيب.
(٦) أنف: أرض الروضة التي لم يرعها أحد.
(٧) الدمن: السرجين، الزّبل.
(٨) ثرّة: كثيرة المياه.

الذباب هو النّحل، تراه يغني في هذه الروضة بصوت مرتفع كما يغني السكران، طرباً يحك ذراعاً بذراع، أي يداً بيد، مثل رجل ناقص الذراع يحك كفه السليمة بيده المقطوعة والناقصة، وهذه الصورة مما تعجب لها الزوزني، والسقا، والشنقيطي وسائر شارحي عنترة.

□ □ □

(٢)

هـرّ جنيـب كلمـا عطفـت لــه غضبى، اتّقاها باليـديـن وبـالفـم

الهرّ الجنيب هو المربوط بجانبها، وهـي كلمـا التفتـت إليـه غضبـى لتعضّه، خدّشها بأظافره.

□ □ □

(٣)

وحليل غـانيـة تـركـت مجـدّلا تمكـو فـريصتـه كشـدق الأعلـم

الحليل هو الزوج، تركهُ عنترة وهو حديث العهد بالزواج من حسناء غنية المحاسن، طعنة فجندله على التراب، وقد تدفق دمه وأحدث صوتاً كصوت شدق البعير المشقوق الشفة العليا، كناية عن جهارة الصوت.

□ □ □

(٤)

برحيبة الفرغين يهـدي جـرسهـا بـالليــل معتسّ السبــاع الضّــرّم

رحيبة الفرغين الواسعة، والفرغ مثناه فرغان وهما جانبا خروج الماء من الدلو، وجرسها صوتها، المعتسّ الخـارج فـي الليـل، أو أنـه ذو طلـب، والضّرّم: الجياع، فهو قد شبه الطعنة التي تترك مكانها واسعاً بفرغي الدلو.

□ □ □

(٥)

كمّشت بالرمح الطويل ثيابه ليس الكريم على القنا بمحرّمِ

كمّشتِ: شمرت ثيابه، وذلك كناية عن استطالته على الفرسان، كأنهم لديه صغار، لا يعتد بهم، أما فارسه ذاك فهو نبيل، وكونه نبيلاً لا يعفيه من أن يكون عرضة لطعن عنترة، وامتهانه.

□ □ □

(٦)

بطل كأن ثيابه في سرحة يحذى نعال السبت ليس بتوأمِ

هذا البطل الكريم، فارس شجاع ولكنه أمام عنترة ألهية يلهو بها، تقدم منه طويلاً عريضاً كأن ثيابه وضعت على شجرة عالية، وهو لتحدره من الأرومات الأصيلة، وغناهُ يلبس الثياب الغالية الثمن، وينتعل أجود النعال الرقيقة اللطيفة.

□ □ □

(٧)

يدعون عنتر، والرماح كأنها أشطان بئر في لبنان الأدهم

فازور من وقع القنا بلبانه وشكا إليّ بعبرة وتحمحم

لو كان يدري ما المحاورة اشتكى ولكان لو علم الكلام مكلّمي

عندما تشتد المعركة، يصيح قومي بي لأدفع الشرّ عنهم قائلين: أقدم يا عنترة أن تكون الرماح الكثيرة المسددة إلي ولكنها لا تصل لأن مهري اتقاها بصدره، فبدت كأنها حبال البئر، فشكا إليّ مهري من وقع الأسنة بصدره، وحمحم لأن كلامه هو تلك الحمحمة، ولو أنه كان يؤري يدري وينطق به لأفصح عن ألمه من تلك الأسنة في صدره.

□ □ □

(٨)

عـوالي زرقـا مـن رمـاح رُدينـةٍ   هـريـر كلاب يتقيـن الأفـاعيـا

رماحاً زرقا وهذه الصفة وردت في شعر امرىء القيس سلفه: ومسنونة زرق كأنياب أغوال، كناية عن شدة صقلها.

وهي رماح من صنع مكان أو تخص بعينه (ردينية) وهذه الرماح يخرج لها صوت كصوت الكلب لاقى الأفعى.

□ □ □

(٩)

وأنا نقود الخيـل حتـى رؤوسهـا   رؤوس نسـاء لا يجـدن فـواليـا

نقود خيلنا إلى الحرب حتى تتشعث خصل الشعر من رؤوسها تشعث شعور النساء اللواتي لا يجدن من يمشط لهنّ شعرهن.

□ □ □

(١٠)

كتائب شهبـا فـوق كـل كتيبـةٍ   لـواء كظـلّ الطـائـر المتصرّف

وغـادرن مسعـوداً كـأن بنحـره   شقيقـه بـرد مـن يمـان مفـوفِ

ألويتنا إلى الحرب كأجنحة الطيور وهي تتقلب وتخفـق، وقـد وتُرك مسعود (شخص معروف) مضرجاً بدمه، وكأن جثته قطعة قماش يمانيّ مخطط.

□ □ □

(١١)

ومطّرد الكعـوب أحـصّ صـدق   تخـال سنـانـه بـالليـل نـارا

ومستقيم العود، أملس، صلب مستو. يلمع في الليل كان النار تلتهب في سنانه.

□ □ □

(١٢)

والخيل ساهمة الوجوه كأنما   تسقى فوارسها نقيع الحنظل

الخيل واجفة، كالحة الوجوه، كأنما أعدها فوارسها من نفوسهم ووجوههم، بملامح تشبه ملامح من شرب الحنظل المرّ.

□ □ □

(١٣)

لا يكتسي إلاّ الحديد إذ اكتسى   وكذاك كل مغاور مستبسل

قد طال ما لبس الحديد فإنما   صدأ الحديد بجلده لم يغسل

عنترة يسكن الحرب، وهي تسكنه، لذلك فليس لديه اختصاص سوى الحرب، فهو يلبس لباسها دائماً، ولباسها الدائم هو الحديد، دروعاً، وخوذاً، ومجنات، وسواها، وكل من كان هذا شأنه من المحاربين يلبس لباسه، وليس ذلك لوقت محدود، ينقضي، بل هو دائم مستمر، وقد امتزج صدأ الحديد بجلده، وعرقه، دون أن يجد فرصة للاغتسال.

□ □ □

(١٤)

سلس العنان إلى القتال فعينه   قبلاء، شاخصة كعين الأحول

وكأن مشيته إذا نهنهته   بالنّكل مشية شارب مستعجل

وحصان عنترة سلس العنان طيع لصاحبه، خاصة عند الحرب، لأنه دائماً متيقظ، عينه سوداء مقبلة على أنفه، وهي كعين الأحول تنظر في كل جانب. وكأنه عندما زجرته ممسكاً بزمامه أشدّه، يمشي مشية السكران، المتدفق، المترنح.

□ □ □

(١٥)

فزجرتها عن نسوة من عامر أفخاذهن كأنهن الخروع

دفعتها، عن نسوة عامر، أولئك الناعمات، كأن أفخاذهن غصون الخروع اللينة الملساء.

□ □ □

(١٦)

كوحي صحائف من عهد كسرى فاهداها لأعجم، طمطميّ

كخط كتاب من كتب الفرس لا يفصح عن مرادٍ لعجمته، فكأنه أخرس.

□ □ □

(١٧)

قد أطعن الطعنة النجلاء عن عُرُض تصفرّ كفّ أخيها وهو منزوفُ

ربما طعنت طعنة قوية تترك مكانها جرحاً واسعاً لأنها تجيء بالعرض، وترمي مطعونها أصفر اليدين لأن جراحة نزفت دمه.

□ □ □

(١٨)

تصيح الردينيات في حجباتهم صياح العوالي في الثّقاف المثقّب

الرماح الردينيّة نسبة إلى موضع أو صانع عندما تندق فيهم تحدث صوتاً كأنه الصوت عندما تندق وتثقف يد صانعها.

□ □ □

(١٩)

كتائب تزجى فوق كل كتيبةٍ لواء كظلّ الطائر المتقلّب

فرق من الجيش فوق فرق وفوقها أعلام تخفق كأنها طيور تقلب أجنحتها في الفضاء.

□ □ □

(٢٠)

سيأتيكم عنّي وإن كنت نائياً دخان العلندى دون بيتي مذودُ

سيصل إليكم نبأ عني مهما بعدت، وهذا النبأ كأنه دخان جبل العلندى البركاني، ويقصد به قصائده.

□ □ □

(٢١)

كأن رماحهم أشطان بئر لها في كل مدرجةٍ خدودُ

كأن رماحهم حبال بئر لها في كلّ مدرجة ما بين الحوض والبئر، خدود أي فجوات.

□ □ □

(٢٢)

تركت الطير عاكفة عليه كما تردي إلى العرس البواني

ويمنعهنّ أن يأكلن منه حياة يدٍ ورجل تركضان

تركت الطيور تهوي عليه لتأكل من جثته بعدما جندلته كما تسرع الراقصات ليرقصن حول العروس، ولكن الطيور تحجم عن أكله لأن يديه ورجليه ما زالت ترتعش.

□ □ □

(٢٣)

إذا ما مشوا في السابغات حسبتهم سيولاً وقد جاشت بهن الأباطح

إذا لبسوا لباس الحرب الكامل، ومشوا إلى المعركة تحسبهم سيولاً تجري في الفلوات.

□ □ □

(٢٤)

وكل رديني كأن سنانه شهابٌ، بدا في ظلمة الليل، واضحُ

وكل رمح من صنع الرّدينيّة يبدو كل سن منه كأنه شهاب يلمع بوضوح، وائتلاف في ظلام الليل.

□ □ □

(٢٥)

حتى رأيت الخيل بعد سوادها حمر الوجوه خضبن من جرحاها
يعثرن في نقع النّجيع جوافلاً ويطأن من حَمْي الوغى صرعاها

خيولنا دهماء سوداء، صبغت بلون الدماء الحمراء من جروح الأعداء، وهذه الخيل تتعثر في الدم والغبار، وتدوس على القتلى من جنونها، وفقدانها وعيها.

يعد المستشرقون خاصة، والأوروبيون عامة سيرة عنترة من مفاخر الأدب العربي وبدائعه، ويعدها العرب من أفخم مبدعات الأدب الشّعبي. لا تفوقها في السيرورة والشّهرة إلاّ ألف ليلة وليلة، عربياً وعالمياً. وإن كانت سيرة الزير سالم، وأبي زيد الهلالي، والظاهر بيبرس البندقداري، وشجرة الدر، وفيروز شاه، وحمزة البهلوان لا تقل عنها.

□ □ □

ترجمت سيرة عنترة إلى الفرنسيّةوالألمانية، وللمستشرق الالماني: «توربكيّ» «Thorbacke» كتاب عن عنترة طبع في هيدلبرج سنة ١٨٦٨ كما رسم الزركليّ، وكما كتب فيه محمد فريد أبو حديد من مصر وفؤاد البستاني من لبنان، على أن هذه السيرة مفخرة الأدب الشخصي عند العرب

يعنيني من عرض سيرته كما وردت في الطبعة القديمة لصبيح، ومكتبة الجمهورية العربيّة، وكما كنت أسمعها من السامرين في القرية، والحكواتيّة في المدينة، أنّ التاريخيّ فيها يقترن بالخارق، مثلما جاء ذلك في ملاحم اليونان والهند، فعوليس «Ullys» لا يستطيع بطل سواه استخدام قوسه الغريب العجيب، وعنترة كذلك لا مثله من يستخدم سيفه، أو عموده، أو رمحه، أو أبْجره (حصانه).

وعوليس تاه في البحار، وتعرّض لخبيّة البحر الساحرة، العاشقة

« نوسكا » وللسيكلوب الهائل، كما تعرض عنترة للرياح السافية كادت تهلكه، وللِسّحر، والضياع، والأسر، والاختفاء، ثم ظهر.

وعوليس يعود إلى إيتاكا مملكته، وأسرته، وعنترة يعود بعد ضياع إلى مضاربه، وذويه بعد ما يشبه اليأس من رجوعه، وذلك في عدّة مرات أشهرها عودته من عند النعمان بالنوق العصافيريّة، بعد شيوع الأخبار عن مصرعه، وأن الرمال السافية، والمهتزة قد ابتلعته.

كذلك هنالك شبه بين آخيل بطل الألياذة وبين عنترة، فآخيل غضب لأن أجممنون استأثر بسبيّة دونه فاعتزل حرب طروادة، وعنترة اعتزل حرب قومه في داحس والغبراء لأن والده لم يعترف به، ولأن عمه مالكاً منعه من الزواج بعبلة ابنته.

آخيل عاد عن حرده ليخوض المعركة بعد أن قتل صديقه « فطرقل » وعنترة يعود عن حرده بعد أن اعترف به أبوه.

درع آخيل لا يخرق، وكذلك درع عنترة، وهكذا فإن أبطال الشعوب في حالاتها الفطرية الأولى تتشابه كما لو أنها نسجت على نول واحد.

□ □ □

مؤلف الكتاب

إذا كانت الشكوك حامت حول وجود هومير فعلاً، فإن عنترة تاريخيّ معروف مشهور بالتواتر، وإذا كان شعره قد اختلط فإن سيرته جهل معظم المؤرخين كاتبها، إلاّ أن الآراء تتجه إلى أن مؤلفها الأديب « يوسف بن اسماعيل » كاتب الحاكم بأمر الله الفاطمي، كلّفه بوضعها لصرف الناس عن الحديث في ريبة وقعت فى قصْره.

عصره

الكتاب ألّف في غمرة القرن الرابع الهجري، وإطاره، أن فاضت سيول الأدب الشعبي واستمرت حتى ما بعد الغزو الصليبي.

أسلوبه

يترجح بين العاميّة والفصحى، وتسوده الركّة، كما تدفعه الحماسة والمبالغات، والأسطوريات، والكثير من سقطات النحو، والخطأ في التواريخ.

□ □ □

وصاحب الكتاب مثقف ثقافة تاريخية حميدة، وله اطّلاع على ملاحم الأمم الأخرى، وإن كانت هنالك سقطات يخفيها ما في السيرة من أجواء آسرة تغري بالسماع، والاطّلاع.

المجلد الاول [1]

بعد البسملة، وشكر الله، والصلاة على رسول الله يبدأ المؤلف كتابه بقوله:

« وأما بعد، فاسمع أيّها السامع، ما كان من أحاديث العربان، وما جرى بين يعرب وقحطان، وفزارة وذبيان، وعبس وغطفان، وهم مضر، وربيعة، وإياد، وأنمار.

وكان أكبرهم يقال لهم مضر، لما أن كثرت أموالهم ورجالهم، وزادت أنعامهم: يا إخوتي أنا أكبركم والموصى لي بالملك من بعد والدكم،

(١) كلفني صاحب مكتبة سمير بالجمّيزة، ببيروت أن أبسّط سيرة عنترة، تسهيلاً لقراءتها بصدد التلاميذ الناشئين، ففعلت وظهرت حلقات عدة في سلسلة « من تراثنا »، ثم حالت أقدار بيروت من الاستمرار.

فاسمعوا مني قوله لكم، فارحل أنت يا ربيعة واسكن أرض العراق، وأنت يا أخي يا إياد ارحل بما لك وأنعامك واسكن أرض اليمن، وأنت يا أنمار ارحل بمالك وأنعامك واسكن أرض الشام.

واتخذوا من السلاح أجوده، وكانت خيولهم حمرا، وسميت عرب ربيعة الفرس لأجل حسن حالهم، وملبوسهم، وعرب إياد قحطان، وعرب الشام بني غسّان، وعرب الحجاز بني عدنان، والعراق بني شيبان، ونسبهم كلهم متصل إلى نزار، وبعد ذلك وقعت بينهم الحروب والقتال على المياه والغدران، والمناهل والأوطان».

ثم يشير مؤلف السيرة إلى أنه أخذها عن الراوية العالم العلاّمة، عبد الملك بن قريب الأصمعيّ، وأنه كان من المعمّرين، عاش جاهليةً وإسلاما... كما يذكر من جملة من روى هذه السيرة العجيبة أبو عبيدة، وجهينة بن المثنى اليمنيّ، والبلخي، وحمّاد، وسيار بن قحطبة الفزاري، والكاهن الغساني الثقفي... وابن خداش النبهانيّ، وكل منهم روى ما شهد وما سمع عمن يوثق به ممن حضر وقائع العربان، وضبط كم فني منهم في الحرب، وأنّ وقعة نزار في اليمن، دامت الحروب بينهم مئتي سنة حتى قتل فيها ألوف مؤلفة، وثاني وقعة كانت حرب البسوس. وكانت بين بني بكر وبني وائل حرب دامت أربعين سنة، وثالث حرب كانت حرب داحس والغبراء وكانت بين بني عبس وفزارة وغطفان وذبيان، ولبثت الحرب بينهم ستين سنة، ورابع وقعة كانت بين الأوس والخزرج، ولبثت الحرب بينهم أربعين سنة إلى قرب ظهور محمد صلّى الله عليه وسلم.

«وقد ذكر الأصمعي رحمه الله تعالى أنه كان من أحسن هذه الوقائع العظام، وأبينها نظاماً، وأصدقها كلاماً، وأعظمها احتراماً، حديث بني عبس، الذئاب الطّلس.».

«ولما أراد الله سبحانه وتعالى هلاك أهل تجبّرهم، وتكبّرهم، أذلّهم

الله تعالى، وقهرهم بأقل الأشياء عليه، وأحقرهم لديه، وكان ذلك غير عسير عليه، وذلك بالعبد الموصوف بأنه حية بطن الواد، الذكيّ الفؤاد، الطيب الميلاد، صاحب الواد، عنترة بن شداد».

□ □ □

ثم يتحدث صاحب السيرة عن زهير بن جذيمة العبسي ملك بني عبس: ويقفز ليتحدث عن النمروذ، ووهب بن منبّه وكعب الأحبار، واسماعيل، وابراهيم، ونوح، وصالح.

ويشطح إلى كوش بن قرط بن حام، وأخيه زاغور، وولده كنعان، وابنه الأكبر هاص، إلى أن يعود إلى جذيمة ملك بني عبس وولده زهير، وزوجته تماضر.

لزهير وزوجته قصة طريفة تدور حول المكر، والخداع، والمهر، ثم الوفاق، وقد ولدت له عشرة أولاد هم: شاس، وقيس، ونوفل، والحارث، ونهشل، ومالك، وجندل، وخداش، وبنت اسمها المتجردة.

شداد وزبيبة

سار شداد في عشرة من بني عبس يغزون، فوقعوا على إبل كثيرة، وعبيد عدة، وبينهم أمة سوداء، فاستاقوا ذلك جميعه، وعندما خيموا في المساء، تاقت نفس شداد إلى العبدة فنهض إليها، وضاجعها:

«وذلك لأجل ما رأى من نعومة أطرافها، ولين أعطافها، وحسن لونها، وغنج عيونها، وسحر جفونها، وميل قدّها، وسماحة وجهها، ولميع خدّها، وحلاوة لفظها، وحسن شكلها...».

وكان اسم ولدها الكبير جرير والصغير شيبوب، وكان شداد يرعاها، ويحدب على ولديها، إلى أن ولدت له: «مولوداً ذكراً، وهو أسود أدغم

مثل الفيل، فطس المنخر، واسع المناكب، واسع المحاجر، معبّس الوجه مفلفل الشعر، كبير الأشداق، مكدّر المنافس، متسع الظهر، صلب الدغائم والعظام، كبير الرأس، كما قال الشاعر:

وأسود يحكي ظلام الدجى		كأنه حجر من الجلمد
له ذراعان بعيدا المدى		قوامه الميّاس كالمرودِ
وقد نراه أعبساً أدبساً		ومزعجاً للبيض والأسود

□ □ □

ويتمادى المؤلف في وصف طفولة ذلك الولد، وغرابتها، وشدة أسره، وملامح قوته لذلك تحكي السيرة أنه في الرابعة من عمره، طلب الملك زهير أن يراه لما سمع من أخباره الغريبة، فلما جاؤوا به، فزعق به، ورمى له قطعة من اللحم الذي كان بين يديه، فسبقه كلب من الكلاب إليها، فعدا الغلام عنترة وراءه، وأمسكه من رقبته، وأخذ قطعة اللحم من بين فكيه، وما زال يشدّ عليهما حتى مزقهما إلى كتفيه.

□ □ □

أول غرامه بعبلة

كان عنترة يخدم نساء بني قراد، وهنّ يشربن حليب النياق، فكان يقدم لزوجة أبيه سمية أولاً، ثم إلى زوجة عمّه زخمة الجواد، وامرأة عمّه مالك وبنتها عبلة.

ويقع عنترة في حب عبلة عندما دخل ذات يوم ورأى أمها تمشط شعرها الطويل، فدهش، وخفق قلبه وأنشأ يقول (الشعر من تأليف كاتب السيرة وليس لعنترة):

وجناء تسحب شعرها من طوله		وتغيب فيه وهو ليل أسحمُ
فكأنما فيه نهار طالع		وكأنه مذبان ليل مظلمُ

لا تعذلوني في هواها إنني مضنى وقلبي في هواها مغرم

□ □ □

وبذا ترى أن أثر الصنعة في عهود الدويلات بادٍ على الأبيات الثلاثة.

□ □ □

أحداث السيرة

ويمكننا أن نشير إلى أهم أحداث السّيرة، لنختار المواقف الهامة منها، علماً بأننا نجمل هذه الأحداث لأن المجلدات الثمانية التي تحتوي على السيرة، لا تسمح بحشد مثل تلك الحوادث المصطنعة اللاتاريخية:

- مالك أبو عبله يعد عنترة ويغدر به.
- صراع عنترة وعروة بن الورد بطل عبس والمسمى بعروة الصعاليك لأنه كان كحاتم الطائي يجود عليهم، ثم تحاب الفارسين.
- عنترة في الأسر، ووقوع حرب «حليمة» بين المناذرة والغساسنة، وتدخل عنترة فيها لصالح الغسانيين، ومقتل «أبي الدوح».
- عنترة عند كسرى، وإعجاب الملك به، وبقوته التي تحطّم الأسود، وعودته ظافراً إلى قومه.
- هجرة عنترة إلى مكة، وتعليق قصيدته الميمية في الكعبة بعد كتابتها بماء الذهب.
- معركته مع أنس بن مدركة.
- خطف عبلة.
- عنترة والنعمان بن المنذر، وتزوج النعمان بالمتجردة التي تغزّل بها النابغة، ودور عنترة مع النعمان.
- عنترة وخصومته مع آل زياد، الربيع وأخيه عمارة منافسه على حب عبلة
- الملك زهير وعنترة، وانهزام زهير. ومقتله بعد ذلك.

- عنترة والجيداء.
- حرب داحس والغبراء، وموقف عنترة من الفريقين.
- صداقة عنترة وأولاد زهير.
- عرس عنترة.
- عنترة ودريد بن الصمة، وعمرو بن معد يكرب الزبيدي.
- مكيدة الربيع بن زياد.
- عنترة والسليك بن السلكة.
- عنترة وحاتم الطائي.
- قصة عنترة مع سعاد بنت حماد، وإمامة بنت همام.
- عنترة وقيصر، ودخول عنترة بلاد الشام.
- مقتل ملك الأفرنج.
- قيصر يطلب الصلح.

الخ...

عروة بن الورد شاعر جاهليّ، فارس، وجوّاد كريم، يذكر في البال عندما يذكر حاتم الطائيّ المشهور بكرمه، ولكن عروة يختلف عنه بأنه لقب بعروة الصّعاليك، لأنه كان يغزو، ويكسب ويقدم لهم ما كسبه..

كان عروة من فرسان بني عبس المعدودين، فهو من قبيلة عنترة، قالت السيرة عنه: «قد أفنى عمره في الغزوات، وألهب العرب بالغارات، لا يبرح غائباً عن الأوطان، ولا يستقرّ في مكان، وكان يصطاد السباع من الدحال، ويصادم الأبطال، وينهب الأموال، ويفرّقها على صعاليك الرجال، وهو عروة بن الورد الذي يلقب بعروة الصعاليك... وكان مع شجاعته حلو الخطاب، حسن الآداب، يفتخر على العرب بالفصاحة والكرم، وحسن الشيم».

وكان عروة صديقاً لعمارة بن زياد أخي الربيع بن زياد، وعمارة منافس عنترة على حب عبلة، دعيا عروة إلى وليمة وحدثاه بأمر عنترة، وكيف يضايقهما، فأقسم عروة ليقضينّ على «عبد السوء» عنترة.

وكان عروة في مئة فارس يركبون لركوبه، وينزلون لنزوله. كمن لعنترة وهو خارج مع أخيه شيبوب لبعض شؤونه، وكانت عبلة قد علمت بما تمّ بين عروة وعمارة وأخيه الربيع، فأرسلت تحذر عنترة من عروة.

لقاء البطلين

فاجأ عروة عنترة في الفلاة، فصاح به عنترة: إكشف اللثام فقد عرفتك يا عروة، عن وجهه وقال: «نعم أنا عروة يا عبد السوء. ولقد كنت لك في الانتظار، لأقتلك وأتركك مطروحاً في هذه القفار». فقال عنترة: «إخرس يا كلب العرب، أين كنت في وقعة بني طيء، ولماذا لم تهاجم وتستخلص حريمك التي سبوها مع نساء الحيّ؟ والآن تريد أن تكافىء الذي صانك، وصان حريمك بأن تجعله غريمك»؟ ثم حمل كل منهما على الآخر، إلى أن سدد إليه عنترة طعنة ألقته على الرمال وأخذ عنترة يهدر كالأسد الرئبال، عندئذٍ هجم عليه فرسان عروة فمزق شملهم، وقتل منهم خمسين رجلاً، وأسرع شيبوب يدير الأكتاف، ويشدها عن وجه فيه بقية روح، وشدّ وثاق عروة وألقاه مع رفاقه على ظهور الرواحل بالعرض ليراه الربيع وأخوه عمارة، ويموتا حرقةً وكمداً.

وتحكي السيرة أن عروة أصبح بعد ذلك صديقاً لعنترة، ومرافقه في كل غزواته.

□ □ □

أراد مالك أن يهلك عنترة، ليأمن خطره، وشرّه، وينقذ ابنته عبلة من شراكه، فأضمر في نفسه أمراً، وذلك بعد أن رأى أن أمره مع عروة بن الورد انقلب من مؤامرة مدبرة، إلى انتصار رائع لأبي الفوارس عنترة.

لذلك دعاه إلى وليمة، ولاطفه، وطلب منه مهر عبلة مئة ناقة من النوق العصافيرية التي لا يملكها سوى النعمان بن المنذر ملك الحيرة وصهر بني عبس. ففرح عنترة بذلك وأعلن لعمه، وبني عبس أنه سيجيئه بها ولو كانت فوق النجوم.

ثم سار عنترة مع أخيه شيبوب. وأخذا يقطعان الفيافي والقفار إلى أن أطلا على بني شيبان، ورأيا بلاداً عامرة، وخيرات وافرة، وانهاراً دافقة، وأشجاراً باسقة» وقطعاناً من الأغنام بعدّ الرمل، والنّمل، فطلب من أخيه شيبوب أن يستطلع له أخبار تلك البلاد، والقطعان ولرعيانها.

أطلق شيبوب ساقيه للريح، وأدرك الرعاة وهم يفترشون الأرض لتناول الزاد فدعوه إلى مشاركتهم، وسألوه عن قبيله، فكذب عليهم قائلاً إنه هارب مع أخٍ قاسٍ ظالم، وهو يلتجيء إليهم» فقالوا له: ابق بيننا راعياً من رعاة النعمان بن المنذر، فهذه قطعانه، وهذه نياقه العصافيرية التي لم يحظ بمثلها ملك من الملوك.

فرح شيبوب بذلك، وسأل نفسه: كيف يمكن أن نسوق مئة عصافيرية،

وهل يقدر عنترة على هذه الفئة من الرعيان الأشداء؟ ودار في باله، بتحريك بلباله جمال تلك النوق «بيض الألوان، بأوبار ناعمة كريش النعام. وأسنمة كالقبب، وقوائم كأعمدة الرخام، وعيون سود الحدق، فتعجب من حسن منظرها البديع».

ثم بات شيبوب مع الرعاة، وانسرب من بينهم ليخبر أخاه عنترة بأمرها، وعند الصباح لبس عنترة لأمة الحرب، وأمر أخاه أن يقطع الطريق المؤدّي إلى الحيّ كيلا يصل الخبر إلى المدينة، ثم حرك جواده وزعق بالعبيد قائلاً «ويحكم، سوقوا النوق قدامي، وإلاّ خضّبتكم بحدّ حسامي».

فبرز إليه رئيسهم قائلاً: ويحك كيف تجرؤ على رعيان النعمان، حليف كسرى أنوشروان؟ فطعنة عنترة برمحه، وألقاه على الصحصحان، واختلط جلده بدمه، ففزع الرعاة الباقون وساقوا ألف ناقة أمامهم وساروا حسب إشارة عنترة.

وعندما وصل الخبر إلى بني شيبان حلفاء النعمان، ركبوا الخيل، وزحفوا وراء عنترة.

عندئذٍ شدّ الملك النعمان على فرسه، وسار معه فريق من بني شيبان، وأدركوا رفاقهم، وأحاطوا بعنترة، ونشبت معركة طاحنة، كان عنترة فيها يدق الرؤوس بالرؤوس، ويقبض النفوس تلو النفوس، وعنترة وشيبوب وحدهما في المعركة مقابل الآلاف مِنْ أبطال بني شيبان.

كبا حصان عنترة فترجل، وقارع الأبطال إلى أن كلت يداه، وفيما هو يتقدم، ويقفز، عثرت رجلاه بقتيل فانقلب، فأدركه بنو شيبان، وشدوا كتافه، وقدّموه إلى الملك النعمان.

أما شيبوب فقد كان مشتغلاً بالنياق والعبيد، فبصر بالجواد الأبجر يحمحم، وعنترة ليس على ظهره، فأيقن بهلاك أخيه، فأخذ يبكي ويصيح،

وأطلق ساقيه للريح، إلى أن وصل إلى حيّ عبس ونعى أخاه، ففرح عمارة، وأخوه الربيع، كما فرح مالك أبو عبلة وولده عمرو.

□ □ □

عاد النعمان من رحلة صيد، فقدموا له عنترة وجرى بينهما الحوار التالي:

النعمان : من أي العرب أنت يا عبد النّحس؟

عنترة : من بني عبس يا مولاي!

النعمان : هل تكون عبدهم؟ أو نزيلاً عندهم؟

عنترة : إن النسب يا مولاي عند الرجال، الطعن بالرماح الطوال، والضرب بالسّيوف الصقال، والصبر في معمعة القتال، وأنا طبيب عبس إذا اعتلّت، وحاميها إذا ذلّت، وحافظ حريمها إذا ولّت».

النعمان : عجباً عجباً يا أسود، لعقلك، وفصاحتك، ولذا فما الذي دعاك إلى التعرض لأموالي، وقتل رجالي؟

عنترة : ظلم عمّي وغدره، وخبثه ومكره، لأني ربيت في نعمته: وضيعت عمري في خدمته، طمعاً في الزواج من عبلة ابنته، فطلب مني مهرها ألفي ناقة من العصافيرية، فساقتني إليك المقادير، فإن شئت اقتصصت مني، أو عفوت مشكوراً عني، وعندئذٍ أكون عبدك، وظلك، والعفو عند المقدرة، ومن شيم الكرام قبول المعذرة».

النعمان : لك هذا العقل، وتركب الغرور، وتخاطر بنفسك؟

عنترة : أي والله يا مولاي، إن الهوى يحمل الرجال، على ركوب المخاطر والأهوال، وما أوقع الرجال في هذه المواقع، إلا النظر إلى ما تحت البراقع». ثم فاضت عيناه بالدموع، وتنفس

من فؤاد مصدوع، وأنشد يقول:

جفون العذارى من خلال البراقع ... أحد من البيض الرفاق القواطع

إذا جرّدت ذلّ الشجاع وأصبحت ... محاجره قرحى بفيض المدامع

خلقنا لهذا الحبّ من قبل خلقنا ... فما يدخل التّفنيد فيه مسامعي

فيا نسمات الريح بالله خبّري ... عبيلة عن رحلي بأي المواضع [1]

□ □ □

وهنا جاءه بعض رجاله يخبرونه أن أسداً سطا عليهم، وهربوا من سطوته، فقال النعمان لرجاله: عاجلوه بالنبال، قبل أن يستعصي خلف التلال، فلما سمع عنترة ذلك انقدحت له فكرة الخلاص، وقال للملك:

« مولاي أرجو أن ترميني بين يديه، فإن أكلني فقد كفيتم أمري، وان قتلته عاملتني بما أستحق من السماح والعفو ».

فصاح النعمان وهو في غاية السرور والعجب، برجاله قائلاً: « فكّوا يديه ورجليه لنرى ماذا سيصنع، ففعلوا ما أراد.

فاستل عنترة سيفه، ولاقى الأسد، فزمجر، وهمدر، ووثب على عنترة، فتلقاه بضربة بين عينيه، شطره حتى فخذيه، ومسح عنترة سيفه بجلده، وعاد عنترة كأنه قتل أرنباً.

---

(١) يظهر أثر الصنعة والوضع على هذه الأبيات. التي هي من وضع المؤلف يوسف بن اسماعيل، وهي ليست لعنترة.

عاد النعمان من عند كسرى وهو غضبان حاقد لأن الخسروان أحد رجال كسرى مكر به، وأوغر صدر أنوشروان على النعمان، فأراد أن يتخلص من النعمان، ويورده حتفه، فجهز الخسروان بثلاثة عشر ألف مقاتل، وزحفوا على حيرة النعمان، ونشبت بينهم وبين العربان، من بني المناذرة وآل شيبان حرب تشيب لها الولدان، وأدرك النعمان أنه سيلقى البوار على يد هذا المجوسي الجبار.

وفيما هو غريق أفكاره، إذ دخل عليه أحد رجاله وقال له يا مولاي: أسيرك العبد الأسود عنترة يتكفل بقتل الخسروان، وإذاقة جيشه ذلّ الهوان، على أن تجود عليه بمهر حبيبته عبلة.

فأمر النعمان بتحريره من قيوده، وقال له: كل مالي لك إن أنقذتني من هذا المجوسيّ الخنزير.

أصبح الصباح، وأطل بنوره ولاح، واصطفت فرسان العرب وفي مقدمتهم عنترة، وفرسان العجم وفي مقدمتهم الخسروان.

وبرز الخسروان فتلقاه عنترة، ولقي منه الخسروان ما حيره، وأخذ يرشقه بالحراب فتضيع، عندئذٍ سدد إليه عموداً يقطر سم الموت منه قطراً، وقذف عنترة به، فحاد عنه، وعندئذٍ سدد إليه عنترة رمحه، وطعنه به فاخترق الترس، ونفذ إلى قلبه فألقاه صريعاً على التراب، وانهزمت جنود الخسروان شرّ هزيمة.

ثم تحكي السيرة عن الصلح بين كسرى والعرب، وأن عنترة وفد على كسرى وكبر في نظره لما قام به من البطولات، وكيف قتل بطل الروم. البطريق الذي وفد على كسرى بهدايا قيصر، وكيف شمخ البطريق بأنفه على أبطال الفرس، ونازلهم واحداً واحداً وصرعهم جميعاً.

اغتمّ كسرى لذلك، ورأى بعض رجال الخسروان ممن نجوا من سيف عنترة كيف أن كسرى حزن لفقده أعزّ رجاله، فتقدم منه وهمس له أن النعمان لديه عبد أسود، قتل الخسروان، وأنه بطل لا كالأبطال، فأرسل أنوشروان يسترضي النعمان ويطلب منه عنترة.

أقبل عنترة، وبارز البطريق فرماه البطريق بحربة، حاد عنها عنترة، وتلقاها بيده من الهواء، وسددها للبطريق فخرقت جسمه من أمام إلى الوراء، وسقط مضرجاً بالدماء، وما زال كذلك حتى جندل فرسان الروم، ففرح به كسرى، وأقام له وليمة، وقدّم له الهدايا التي بعث بها قيصر إليه، وأغدق على عنترة هدايا تفوقها كمّاً ومقداراً.

□ □ □

ويعود عنترة بالأموال والهدايا إلى بني عبس، ويدهش الجميع بمقدار ما جاء به وخاصة عمه مالك والد عبلة، ولكن عبلة تختفي، ويخطفها عمارة وهي خارج خبائها في حاجة من حاجاتها.

قال الأصمعيّ، وقد سألت شيبوب (هكذا) أن عنترة قاتل على مراكب البحر في جانب هرقل بن قيصر، ضد ملك الفرنجة « أَلليلمان » وكان مع عنترة لا يفارقه أخوه شيبوب، وأبنه الخذْروف، وقد قتل عنترة الملك ألليلمان، وابنه سرجوان، كما أسر منهم سوبرت، وكوبرت، وخليجان. وهم من نبلاء الفرنجة.

وكان عنترة يقتل الفرسان الذين يتجاوز عددهم المائة ألف، وحده، وفي قتاله مع ملك الفرنجة قالت السيرة:

« ثم أقلب الرمح إلى ورائه، وطعنه، فطار فوق سرجه ثلاثة أذرع، ثم خطفه عنترة من الهواء، وألقاه على زنده، وأخذه أسيراً، وقاده ذليلاً حقيراً ».

□ □ □

كما تعرض من قبل للساحرة على ماء « عرامل » في اليمن، ونجا من تدبيرها.

□ □ □

كما تزوج مريم بنت أخي الملك قيصر، فولدت له الغضنفر، وكان زواجه بها في رومة الكبرى، ثم أخذها معه إلى القسطنطينية، كما أنه أصبح ذا ذرية كثيرة منها ابنته عنيترة، والجوفران، وأمّ الزعازع، والغضبان وابنه الديّال.

□ □ □

عنترة يدفن أخاه شيبوباً، في قبر ولده ميسرة، وابن أخته الهطّال، بعد أن قتله عدوّه « سارح السّلاّل » بن ناهب أخو « المختلس السّلاّل » الذي قتله عنترة، وكان هذا زعيماً على بني « ضُهيّة » وقد عمل على سرقة حصان عنترة الأبجر.

عنترة يقتل عمارة والربيع بن زياد، وهما ناصباه العداء منذ أن بدا نجمه يلمع، ونتج عن ذلك أن خلافاً دبّ بينه وبين الملك قيس بسبب مقتل الربيع وأخيه عمارة. ففارق عنترة بني عبس، وضرب خيامه على نهر الفرات قرب « عانة » في مكان اسمه العارضيات، وضربوا له خيمة من الحرير الأصفر، بأعمدة من الصندل، والعود القاتلي مطلي بالذهب الأحمر... ثم تزوج خفية عن عبلة، أخت عمرو ذي الكلب.

□ □ □

وتتكاثر العرب على بني عبس تطلب ثاراتها بعد أن علمت بانشقاق عنترة عنهم، وكيف أن بني قشير فتكت ببني عبس. فوصل الخبر إلى عنترة فأنجدهم، وسحق القشيريين، وبلغ ذلك الملك قيساً فندم على خصومة عنترة وفراقه.

عاد عنترة إلى مضاربه، فأتاه الأسد الرّهيص الدي كان عنترة قد كواه

على عينيه، وألزمه بدفع ضريبة كل عام، فلما دخل الأسد الرهيص دفع الضريبة ثم ذهب.

كان الأسد الرهيص حاقداً على عنترة، ولكنه يعلم أنه ليس من مقامه في الحرب، لذلك فقد روّض نفسه على الرمي بالسّهام، فكان إذا سمع صوت طائر على فنن رماه وقتله، وتلك مرتبة لم يظفر بها الأكل من كانت له إرادة فائقة، وبراعة حاذقة.

□ □ □

ويبعث ملك الروم بهداياه وسفرائه إلى عنترة، ذلك الذي قتل ملوك الافرنج في سبيله مثل الملك صافات، والملك ميخائيل، والملك جنطائيل، ويتعهد عنترة بحصار روقه والاستيلاء عليها. وهناك تعارك عنترة مع «بهمنة» بن الملك بوران، أخي الملك خليجان الذي كان عنترة قد قتله.

كانت المعركة شديدة بين عنترة وبهمنة، فقد دفع إليه عدة حراب كان عنترة يتّقيها، وآخرها اختطفها عنترة من الهواء، وسددها إلى بهمنة فخرقت صدره، وهوى على الصحصحان. ثم أقام في رومة عدة أيام وتزوج أخت الملك بلقام، ثم فارقهم ومرّ بقصر الملك قيصر، فزاره، ومن ثم قصد دياره.

□ □ □

تجري أقدار عنترة أنهاراً لتصب جميعها في البحر المحيط، فها هو الأسد الرهيص منذ عشرين عاماً ينتظر الفرصة ليأخذ ثأره من عنترة الذي كحّل بالعمى عينيه، وما زال يتسقط أخبار عنترة حتى عرف بأمره وعودته من بلاد رومة منتصراً.

عندئذٍ سار مع عبده نجم، وكمن على شاطىء الفرات قرب مضارب عنترة، في أجمة من القصب ظليلة؛ وقد أعدّ قوسه ونبله، تلك النبال التي

سمها كيلا يكون لمن تلامسه شفاء .

ويظهر أن الكلاب أخذت تنبح لأنها شعرت بحركات ضمن أجمة القصب، وكان الليل حالكاً فتنبه عنترة، وصاح بأخيه جرير يسأله عن السبب، فلم يقدر جرير على إجابته، فوثب عنترة وتقلد سيفه وأخذ يمشي على شاطىء النهر ويتحدث مع أخيه جرير .

ويشاء القدر أن عنترة مال ليبول، فسمع الأسد الرهيص خشيش بوله، وتقول السيرة إن عنترة كان إذا بال على حجر ثقبه... هنا سدّد الأسد الرهيص سهمه المسموم إلى عنترة الذي أصبح قريباً منه فأطلقه فأصاب عنترة في خصيتيه، ونفذ إلى أمعائه.

وقد مات الأسد الرهيص من خوفه، فهرب عبده نجم، وتحامل عنترة على سيفه، متكئاً على أخيه جرير حتى وافى مضربه .

لم يلبث طويلاً حتى ألبس عبلة لأمة حربه، وأركبها فرسه الأبجر، وركب هو في الهودج، وساروا قاصدين ديار عبس أرض الشّربة والعلم السّعديّ .

ويصادف أن يطمع فيهم وفيما يحملونه من غنائم بعض الأعراب فيهجمون عليهم فيصيح بهم عنترة، ولكنهم أدركوا أن في الأمر سرًّا، وفضّلوا الإحجام والتّريث.

هنا يأمر عنترة عبلة ومن معها أن يتقدموا نحو مضارب عبس في التربة والعلم السعدي، وبقي هو على ظهر فرسه، إلى أن مات وهو على تلك الحالة، فأسرع إليه الأعراب الذين يراقبونه، وسلبوه سلاحه، وحفروا له قبراً أسجوه فيه هناك..!

ولكن الملك قيساً سار برفقة له، وأخرجه من قبره كما هو، وأجروا له

مأتماً يليق به، ودفنوا جثته على ربوة من روابي الشربة والعلم السّعديّ.

وترسم السيرة أن عامر بن الطفيل تزوج بعبلة بعد عنترة، وأن أولاد عنترة قاموا بحروب كثيرة استمراراً لبطولات أبيهم المجيدة.

وهكذا تنتهي حياة شاعر كبير في الجاهليّة، وفارس لا يماثل تجاوز الواقع إلى الأسطورة، وعرف بنضاله في سبيل الحرّيّة، وبغرامه الذي وطّأ للعذريّة.

الفهرس

عنترة بن شداد

الحب، الشعر، الفروسية، الحرية

جسّد البطولة في الفروسيّة، والانسانية في تحطيم العبوديّة وعشق الحرّيّة، والشرف في الحبّ المناضل، المتحدي، والفن في الشعر المجلجل الفخيم، فهو السوبرمان عاش قبل النيتشويّ النموذج، بلحمه، ودمه، وقلبه، وروحه.

عنترة التاريخي رائع، وعنترة الاسطوري خلاب، وبينهما قصّة البطولة، وتمثالها على الدهور. وقد عمدت في هذه الحلقة الثانية من سلسلة كواكب الأدب العربي الى جلاء نسبه، ونشأته، وفرقت بين عنترة التاريخي وعنترة الاسطوري، وسبب التزيّد في ذلك، ومتى كان هذا، عدا عن شروح شعره.

دار المدى للطباعة والنشر